KONRAD ADENAUER STIFTUNG

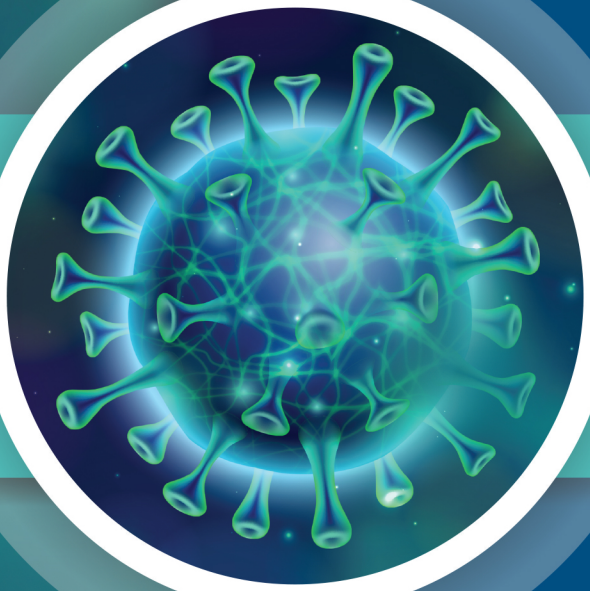

كوفيد-١٩:

استكشاف أثر الوباء على حياة السوريين والعراقيين

كوفيد-١٩:
استكشاف أثر الوباء على
حياة السوريين والعراقيين

مؤسسة كونراد أديناور هي مؤسسة سياسية ألمانية تهدف برامجها التربوية المدنية إلى تعزيز الحرية العدالة والسلام. يتناول مكتب سوريا / العراق الأوضاع السياسية والاجتماعية في البلدين، وبالمسائل التي تتمحور حول: استقرار المنطقة، أوضاع اللاجئين، و الآثار الأمنية الناجمة عن الحرب الأهلية في سوريا وظهور الدولة الإسلامية بالإضافة إلى تعزيز الحوار السياسي داخل المنطقة وما بين الدول الأوروبية و الشرق الأوسط، كما تسلط الضوء على المصالحة، دعم المجتمع المدني، الحكم الرشيد، حكم القانون و البحث و التحليل.

ملاحظة: إن مضمون هذه الورقة لا يعكس بالضرورة الرأي الرسمي لمؤسسة كونراد أديناور. و عليه، فإن مسؤولية المعلومات والآراء الواردة فيها تقع على عاتق الكاتب وحده.

بيروت، آب ٢٠٢٠

قرائي الأعزاء،

إن تفاقم الآثار المترتبة على الحرب المستمرة في سوريا، والأزمة الحكومية والاجتماعية الاقتصادية المستمرة في العراق، وتصاعد التوترات الأمريكية الإيرانية على الأراضي العراقية وكذلك في سوريا، وعودة ما يسمى داعش والأعمال العسكرية التركية على طول حدودها الجنوبية يزيد من معاناة عدد لا يحصى من الناس، وبالتأكيد حياة اللاجئين الذين غالباً ما يكونون محاصرين في مخيمات سيئة التجهيز. أثبت عام ٢٠٢٠ أنه يمثل تحديًا كبيرًا لسوريا والعراق وجيرانه حتى الآن. وبناءً على ذلك، أدت جائحة كوفيد-١٩ العالمية إلى تفاقم التوترات وزادت من الظروف المعيشية الصعبة للغاية لسكان المنطقة.

من المؤكد أن الوباء، الذي وصفته منظمة الصحة العالمية بأنه أهم أزمة عالمية في القرن الحادي والعشرين، سيكون له آثار تحول خطيرة على كل فرد، مجتمع وبلد في العالم - سوريا والعراق ليستا استثناء لهذا. كان كوفيد-١٩، ولا يزال، ينتشر بسرعة في منطقة ليست فيها معظم البلدان مجهزة لاحتوائه.

لذلك، نود التحدث عن اثني عشر باحثًا وصحفيًا وناشطًا شابًا واعدًا من شمال سوريا ومن جميع أنحاء العراق لتصوير تجربتهم مع جائحة كوفيد-١٩ وتأثيرها على حياتهم ومجتمعاتهم.

وقد خلقت مساهماتهم خلاصة تصور وجهات نظر مختلفة حول الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والشخصية الكبيرة للوباء. تغطي المقالات الأرقام الاقتصادية على مستوى الدولة والعالم، والحلقات الصغيرة من الحياة اليومية أثناء الإغلاق، فضلاً عن الاعتبارات المتعلقة بكيفية تشكيل الوباء للنشاط السياسي، على سبيل المثال الاحتجاجات الشعبية المستمرة في العراق والتقلقل المستمر من حيث بنية النظام.

تقدم المقالات الاثني عشر نظرة ثاقبة حول تداعيات كوفيد-١٩ وما تعنيه بالنسبة للعديد من السوريين والعراقيين. نأمل حقًا أن تساعد هذه الروايات في تعزيز إعداد التقارير حول التأثير الشديد لكوفيد-١٩ على هذا السياق المليء فعلياً بالأزمات وإلهام المناقشة حول كيفية دعم شعبيهما. إلى ذلك، نتمنى لكم قراءة مثمرة وصحة مفعمة بالحياة!

غريغور ياكي
رئيس مكتب سوريا/العراق في مؤسسة كونراد أديناور

العنف الاسري في زمن الحجر المنزلي

عبد المجيد غانم مجيد

في منتصف نهارٍ من شهر نيسان وقفت ملاك ابنة النجف أمام زوجها، وأراقتْ على نفسها عدة لترات من النفط وأذِنت للنار أن تلتَهم جسدها بعد أن ناولها زوجها الولّاعة متحدياً إياها بأن تفعلها ففعلت.

بهذه الطريقة كانت تريد ملاك البالغة من العمر (٢٠) عامًا، الخلاص من وطأة الواقع الذي تعيشه مع زوجها وعائلته بسبب تعنيفها المتكرر، والذي بلغ ذروته خلال الحجر المنزلي.

في الآونة الأخيرة وخلال الحجر خاصة، تضاعفت أعداد حالات الاعتداء والتعنيف داخل المجتمع العراقي وبشتى الأنواع، رغم ذلك لا توجد إحصاءات رسمية جديدة، للنساء والأطفال المعنفين، وأن آخر إحصائية لوزارة الداخلية أعدّتها مديرية حماية المرأة والطفل كانت في سنة ٢٠١٤.

في العاصمة بغداد، فتاة في ربيعها العشرين، لفت شالها حول رقبتها وربطته وسط سقف غرفةٍ متهالكةٍ، ومن على كرسي بلاستيكي كانت تقف عليه، أقدمت على شنق نفسها خلال أيام الحجر، وتشير تقارير أن سبب الانتحار، الاعتداء الجسدي المتكرر من قبل ذويها.

أما في بابل، فاعتلت امرأةٌ أربعينية سياج جسر انتصب فوق نهرٍ فرعي، فهوت بنفسها من عليه. ويقول شهود عيان بأن جسدها كان يبان عليه آثار لكدمات، بعدما نقلوا جثتها إلى دائرة الطب العدلي.

وأخريات يتعنّفن يومياً، دون أن يعلم أحد بقضيتهن بسبب خوفهنَّ من الأعراف الاجتماعية أو جهلهن عن كيفية الإبلاغ عن تعنيفهن للجهات المختصة، وقد يكون الوضع الاقتصادي المنهك لمعظم تلك الأسر، أوسعُ باب للدخول إلى فهم إشكالية العنف فيها ومسبباته، والسبب الأكبر لجعل معظم النساء في العراق، يدفعنَ فاتورة الحجر النفسية.

رجل في بغداد يعرض أولاده للبيع، وآخر يربطهم بسلاسل من حديد كل يوم، بسبب عجزهما عن توفير الاحتياجات الضرورية، بالإضافة الى الاضطرابات النفسية التي يعاني منها هؤلاء الأشخاص.

كورونا يخنق الاقتصاد ليجلب العنف

لا شك أن أعداداً كبيرة تأثرت بالإغلاق الذي فرضته الحكومات بسبب كورونا ما تسبب بفقدان العمل جراء الأزمة حيث ذكرت منظمة العمل الدولية بأن أكثر من ٨١٪ من الاشخاص حول العالم تأثروا بالإغلاق الكلي أو الجزئي، وسينتهي المطاف بارتفاع مهول في أعداد العاطلين عن العمل لاسيّما في القطاع غير المنظم، فكيف في بلد مثل العراق يصارع العديد من المشاكل حيث البطالة هي مشكلته الأساسية.

فمن غير الهزّة التي أحدثها فايروس كورونا في العراق على جميع الأصعدة، والتي كشفت ترهُلات الحكومة الاتحادية وعدم جاهزيتها لمجابهة حالات تستوجب فرض الطوارئ في البلاد، مع غياب التخطيط مسبقاً لضمان السلامة الغذائية للعوائل التي تقتات بالاعتماد على الدخل يومي، أي أن يومين من حظر التجوال يهددان معيشة

هؤلاء، الأمر الذي جعل دور المواطنين يظهر جلياً في التكاتف الاجتماعي والتعاون مع أبناء وطنهم ممن باتوا تحت خط الفقر جراء هذه الأزمة.

كما ان مشاكل أخرى بدأت تطفو على السطح، ولا ننكر عدم وجودها سابقاً، لكن ابتعاد الأضواء عن المشكلات الأخرى جعلها لافتة، ويشير هذا الامر إلى خطورتها في حال لم يتم التعاطي معها بشكل جدي، والعنف المنزلي على رأس هذه المشاكل.

تقول عضو المفوضية العليا لحقوق الإنسان فاتن الحلفي "لدى المفوضية رصد في جميع محافظات العراق لقضايا العنف الاسري".

وأكدت بأن "العنف الأسري متجذر في المجتمع العراقي وليس وليد اليوم ولكن الاعلام سلط عليه الضوء أكثر خلال هذه الفترة، لكنه موجود بالأصل وقد تكون الزيادة الحاصلة بتسجيلها راجعة إلى تحرك ثقافة الشكوى".

وأوضحت الحلفي " قد تكون هناك مشكلة في تسجيل الشكوى بسبب الأعراف الاجتماعية ضد الرجل المعنف، لان بعض النساء لا تريد الشكوى ضد الأخ أو الزوج او الأب"، مبينة ان "تقديم الشكوى يتم عن طريق المفوضية او مديرية حماية الاسرة في وزارة الداخلية".

وأضافت ان "هناك زيادة كبيرة لحالات الطلاق في العراق بحيث اصبحت ثالث دولة في الوطن العربي ودول الجوار قياساً بنسبة الطلاق، بعدما كانت سابعاً".

بحسب دراسة أجرتها وزارة التخطيط العراقية عام ٢٠١٢، تحدثت ٣٦٪ على الأقل من النساء المتزوجات عن تعرضهن لشكل من أشكال الأذى النفسي من أزواجهن، و٢٣٪ للإساءة اللفظية، و٦٪ للعنف الجسدي، و٩٪ للعنف الجنسي.

ومن خلال التقرير الذي أصدرته وزارة التخطيط عام ٢٠١٨، وردت مقارنة بين حالات تعرّض النساء للعنف بين عامي ٢٠١٦ و٢٠١٧، وأن هذه الأرقام تستند حصراً إلى الشكاوى التي تقدّمت بها نساء، وهي نسبة قليلة مما يحصل.

جدول (٢٥) عدد النساء اللاتي تعرضن إلى أنواع مختلفة من العنف اللاتي قدمن شكوى لسنتي (٢٠١٦ و ٢٠١٧)

العنف	بدني	نفسي	لفظي	جنسي	المجموع الكلي
العنف لسنة ٢٠١٦	٥٤١٩	٠	١٧٠٣	١٦٩	٧٢٩١
العنف لسنة ٢٠١٧	٤٧١٢	١٣٨٤	٠	١٨٧	٦٢٨٣

المصدر: بيانات وزارة الداخلية - مديرية التخطيط والمتابعة

أي أن العنف المنزلي، ليس وليد هذه الأزمة، بل ظاهرة قديمة تفاقمت اليوم، في مجتمع تسـوده القبائل منذ زمنٍ بعيد وحتى الآن، والتي تكتفي بأخذ التعهدات من الأزواج المعنّفين لزوجاتهم، لكن سرعان ما ينقض الزوج العهد، بأول اختبار تدخله فيه الظروف، فيفرغ وللأسف، اضطراباته النفسية بامرأة لا تقوى على ردّ يده، وقد لا تجد من يحميها إذا امعتضت وخرجت عن قبضته وطاعته، لا بل ينعكس عليها سلباً وتواجه عدد من الانتقادات والتحقير من منظور الاعراف الاجتماعية.

تروي شابة تبلغ ١٨ من العمر لمنظمة "هيومن رايتس ووتش" أن شقيقها أجبرها على الزواج من صديقٍ له عندما كان عمرها ١٤ سنة، ورفضت عائلتها والشرطة وقاضٍ محلي مساعدتها عندما أخبرتهم أن زوجها ضربها وأجبرها على البغاء، وعندما هربت بدأ شقيقها بالبحث عنها ليقتلها، وتقول: "من الطبيعي في عائلتي أن تقتل شخصاً. قتل جدي أخته وقتل عمي أخته".

كما أوردت منصة (رصيف٢٢)، قصة تعنيف فتاة، قبل جائحة كورونا، وسبقت الحجر بسبب الضرب المبرح.

في محافظة صلاح الدين وسط العراق، سبقت هدى (اسم مستعار) قرار الحكومة بمنع التجوّل. قبل سبعة أشهر من أزمة انتشار الكورونا، عزلت نفسها في غرفتها الصغيرة داخل منزلها، بسبب التعنيف التي تعرّضت له من قبل والدها وأخيها الأكبر وإهانات والدتها المتكررة لها.

تحاول ابنة الـ ٣١ عاماً تجنّب التواجد في المكان الذي يوجد فيه أهلها، وأساساً يمنع والدها إخوتها من التحدث أو الجلوس معها كي "تموت كمداً"، بحسب تعبيره.

في العام الماضي، تعرّضت هدى لأول مرة في حياتها، للضرب من قبل والدها، بتحريض من أخيها. كانت تتناول وجبة الغذاء مع أخيها الأصغر، وفجأة جاء والدها وبدأ بضربها على كتفها وظهرها وصدرها.

تغيّرت علاقة هدى بأبيها وأخيها الأكبر عندما قررت، كأي فتاة في عمرها، الزواج والاستقرار وتكوين أسرة، واعترضت على رفض والدها كل المتقدمين للارتباط بها.

بعد جدال حاد بينها وبينهما (الاب والاخ الاكبر) سقطت أرضاً، ونُقلت إلى المستشفى، وتبيّن تأثر عضلة قلبها نتيجة الصدمة واصبحت تعاني من التعب وتسارُع دقات القلب وضيق في التنفس، فقررت ترك وظيفتها في إحدى المنظمات الدولية، رغم أن راتبها كان جيداً، قرابة مليون ونصف المليون دينار عراقي (١٢٠٠ دولار) شهرياً.

تقول هدى "والدي شخص متجبّر، وأخي مجرم بكل ما للكلمة من معنى. فقدت ثقتي بأهلي لدرجة أنني أغلق باب غرفتي بإحكام خشية أن يدخلوا عليّ ويقتلونني، وطلبت من صديقاتي إذا سمعنَ في يوم من الأيام بخبر وفاتي أن يبلغنَ الجهات المسؤولة بأنهم قتلوني".

وتضيف "لم أتألم من ضرب أبي القاسي بقدر ألمي من أنه لا يوجد مكان يحتويني غير بيته، واكتشافي أن حبهم لي كان مصلحة ورياء، فالبنت لديهم هي تجارة رابحة، إذ يأخذون رواتبنا كل شهر ليعوّضوا ما أنفقوه علينا منذ لحظة ولادتنا. لذلك هم يعارضون تزويجي. يعتقدون أنه بزواجي سيذهب تعبهم إلى الغريب".

مساعٍ دولية، تطالب العراق بإجراءات رادعة

حثت منظمة الأمم المتحدة، البرلمان العراقي على الإسراع في إقرار قانون مناهضة العنف الأسري في الوقت الذي نشرت فيه تقارير تشير إلى ارتفاع هذه الحالات في جميع أنحاء البلاد.

جاء ذلك في بيان مشترك، عبّرت المنظمة الدولية من خلاله عن "قلقها الكبير من ارتفاع وتيرة العنف الأسري في ظل جائحة كورونا فيما نشرت تقارير إعلامية عن العديد من حالات العنف خلال أيام الحجر".

وأوردت المنظمة خلال البيان أمثلة عن حالات العنف الأسري التي شهدها العراق مؤخراً.

من بين هذه الحالات "اغتصاب امرأة من ذوي الاحتياجات الخاصة، واعتداء زوجي متكرر، وانتحار امرأة جراء العنف الأسري، وقيام امرأة بإشعال النار بنفسها بسبب العنف أيضاً، وكذلك أذية النفس بسبب الإساءة الزوجية المتكررة، والتحرش الجنسي بقاصر".

وأردفت بأن "التصاعد في عدد هذه الجرائم يثير القلق، ويسلط الضوء على الضرورة الملحة، لقيام البرلمان بإقرار قانون مناهضة العنف الأسري".

ودعت المنظمة الدولية، السلطات العراقية، إلى "ضمان استمرار السلطة القضائية في ملاحقة المعتدين، وتمكين وزيادة استثمار خدمات الخط الساخن والخدمات عبر الإنترنت الداعمة للناجين من العنف القائم على النوع الاجتماعي".

تزامن هذا البيان مع تصريحات صدرت مؤخراً، عن الأمين العام للأمم المتحدة، (أنطونيو غوتيريش) قال فيها إن "أكثر مكان يلوح فيه خطر العنف هو المكان الذي يُفترض به أن يكون واحة الأمان لهنّ. إنّه المنزل".

ودعت أيضاً، السلطات في العراق، إلى "جعل حماية النساء والأطفال إحدى أبرز أولويات الخطة الوطنيّة للاستجابة لجائحة كورونا".

وأشارت إلى أنه "من شأن إقرار قانون مناهضة العنف الأسري أن يتضمن محاسبة مرتكبي جرائم العنف القائم على النوع الاجتماعي في العراق، بمن فيهم مسببي الأحداث البشعة التي شهدناها مؤخراً".

هذا وقد صُعِقَ العراقيون في الثالث عشر من شهر مايو/ آيار، قيام أحد الأباء بتعنيف ابنته ذات الستة اعوام ومن ثمّ رميها من أعلى الشقة، دون تردد أو وازع، ما أدى إلى وفاتها بالحال.

أكدت الحادثة، كاميرات المراقبة التي سجلت عملية رميها، بمشهد يقطع نياط القلب، فانتشر الفيديو على مواقع التواصل الاجتماعي، كالنار على الهشيم، ولاقى موجة حزن كبيرة يرافقها دعوات عديدة، لإقرار قانون مناهضة العنف الأسري، الذي لطالما طالبت به منظمات وشخصيات حقوقية، ليكون رادعاً قوياً لكل من تجرأ الإقدام على العنف، وجدار أمان لكل المعنفين الذين فقدو الأمان، بسبب غياب القانون.

فيما أكد عضو المفوضية العليا لحقوق الانسان، علي البياتي، ان العراق بحاجة الى تشريع قانون مناهضة العنف الاسري، مشيراً الى أهمية تحديد العقوبات، وتحديد آليات لدعم ضحايا هذا النوع من العنف، عقب تزايده في البلاد مؤخراً.

وذكر البياتي في تغريدةٍ له، على حسابه في موقع "تويتر" قائلاً: "الأسرة أساس المجتمع، ومن أهم مقومات حماية الأسرة وجود قانون واضح يعرّف الأسرة والعنف الأسري، ويحدد عقوبات واضحة لجريمة العنف الأسري ويحدد آليات دعم ضحاياه".

مضيفاً بأن "العراق وقع على اتفاقية مناهضة التمييز ضد المرأة سنة ١٩٨٦، ولم نشرع قانون مناهضة العنف الأسري لليوم".

تضاعف الإحصاءات والقانون متراخٍ

تروي رانيا (اسم مستعار)، قصة حملِها السادس، وهي:

تردد في كل يوم أدعية تريد منها أن تنجيها مما تخبئ في بطنها، إذا كان الجنين بنتاً، فبحسب تهديد زوجها، أنها ستلاقي مصيراً مُرّاً إذا انجبت له بنتاً سادسة، تقول:" لدي خمس بنات وزوجي يهددني بقسوةٍ تنتظرني، إذا لم أنجب هذه المرة ولداً، لا أعلم ماذا سيحدث".

ثم اضافت" قد أواجه مصيراً مأساوياً، زيادة على الوضع الحالي الذي أعيشه اليوم، فهو يضربني في كل مرة يعود بها إلى البيت غاضباً، ويوجه لي كمية من الشتائم في كل يوم".

تقول الناشطة النسوية زينب " خلال الحجر المنزلي تضاعفت نسبة العنف المنزلي ما بين ٣٠ إلى ٥٠ بالمئة بحسب المناطق وأن نسبة ٨٠٪ من الرجال يمنعون المرأة من تقديم شكوى حسب منظمة الهجرة ونفس النسبة من النساء لن يخبرن الشرطة خوفاً من التعرض للمزيد من العنف، لكن كل هذه الإحصاءات غير رسمية ولا نعلم ما هو سر غياب الإحصاءات الرسمية من قبل الجهات المعنية، لكننا الآن نقود حملات نضغط بها على الحكومة لإقرار قانون العنف الأسري الذي أرسل إلى البرلمان سابقاً ولم يقرّ بعد ".

أما القانوني ستار الجبوري يقول:" هناك غموض يكتنف مصطلحا (التربية والعقاب) في القانون العراقي، فقد تمنح مادة منه الحق للزوج "تأديب" زوجته في حدود".

رغم الحجر هناك عدوى تنتشر

أوصدت البيوت أبوابها لمنع انتشار الفايروس، فبالرغم من نجاعة هذه الطريقة بمنع انتشار الفايروس لكنها لم تمنع استمرار عدوى العنف الأسري محلياً وعالمياً، فجاء تحذير الأمين للأمم المتحدة (أنطونيو غوتيرش) من "التراخي مع إجراءات الطفرة العالمية المروعة للعنف المنزلي تجاه النساء والفتيات".

فليس هناك أسوأ من أن يتحول المنزل من ملاذٍ آمنٍ إلى مكانٍ للخوف والهلع.

فقد وصل العنف المنزلي في العالم الى حد لا يحمل ما جعل الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة يصرح بشأنه.

العيش الكريم

طالب أعضاء من مفوضية حقوق الانسان خلال العام المنصرم، تشريع قانون يضمن للنساء دون مستوى خط الفقر حقهن في الحصول على وحدة سكنية. ووجهوا ندائهم الى رئيس مجلس الوزراء وإلى مجلس النواب، بضرورة تشريع قانون يضمن للنساء العراقيات الواقعات دون مستوى خط الفقر، حقهن في الحصول على وحدة سكنية تضمن لهم حق العيش الكريم؛ لاسيما وان أزمة السكن في العراق هي نوع من أنواع العنف الموجه ضد الأسر التي تعاني الفقر المدقع، وسوء الأحوال المعيشية. كما كانت هناك دعوى للجهات الحكومية والمنظمات الإنسانية العاملة في العراق بضرورة دعم كافة الخطط والمشاريع التي تساهم في رفع الحيف عن النساء المعيلات لأسرهن ومن ذوي الشهداء والمعنفات، بالتزامن مع مبادرة توزيع قطع سكنية من قبل الحكومة، وأبدوا استعداهم لاستقبال طلبات النساء الراغبات بالحصول على حق السكن، وخاصة الفقراء والمعوزين منهم ومتابعتها مع الجهات المختصة، في حال تم شمل الفئات المذكورة أعلاه.

تعود هذه المطالبات للمشهد مجدداً، لأن من المرجح أن ترتفع حالات العنف الأسري حتى بعد الأزمة بالتزامن مع الضيق الاقتصادي المرتقب، والمخاوف تأخذ حيزاً كبيراً، بسبب التضييق الذي تلاقيه المنظمات الإنسانية ومنظمات تعنى بالمرأة والطفل في العراق وعدم وجود أديرة خاصة تحوي المعنفات والمعنفين وتأمّنهم، فباتت فرص خلاصهم من واقع مؤلم يعيشونه ضئيلة جداً.

تأثير انتشار فيروس كورونا على الشمال السوري

مع تسجيل أولى حالات الإصابة في فيروس كورونا المستجد في مناطق تحت سيطرة النظام السوري، دقت المنظمات المحلية والدولية ناقوس الخطر وتخوفت من تفشّي الفيروس في ظل الأوضاع المعيشية الصعبة التي يرزح تحتها حوالي ٤ ملايين مدني في الشمال السوري، هذا بالإضافة الى المنشآت الصحية المدمرة والمشافي ومراكز الدفاع المدني المستهدفة عسكريًا باستمرار.

طالبت نقابة "أطباء الشمال المحرر" بإغلاق المعابر مع النظام السوري بشكل كامل منعًا لانتشار فيروس "كورونا" في الشمال السوري، وخصوصًا معبر "أبو الزندين" في منطقة الباب في ريف حلب، وذلك بعد إعلان وزارة الصحة في النظام عن أول إصابة لفيروس كورونا.

وجاء ذلك بعد توارد الأخبار عن وصول إصابات بفيروس كورونا في مناطق تحت سيطرة النظام عن طريق المسافرين من إيران الذين لا يخضعون لأي فحص أو تدقيق على الحدود السورية، كونهم "قوة احتلال" وفقاً لبيان نشرته النقابة.

وقالت النقابة: "إلى السلطات المختصة والرأي العام... نظرًا لخطورة وصول هذا المرض عن طريق معابر تجارية في ريف حلب الشمالي والشرقي التي ما تزال تتواجد بها حركة عبور، فإننا في النقابة نتوجه إلى السلطات المعنية ونحذر بشدة أنه إذا لم يتم إغلاق المعابر على وجه السرعة، فإن الشمال سيكون مهددًا بوصول المرض."

ويقول الدكتور وليد التامر نقيب الأطباء الأحرار في الشمال السوري: "يعتبر الشمال السوري منطقة جغرافية ضيقة للغاية تحتوي على ٤ مليون إنسان يعيشون ظروف سيئة للغاية. بالنسبة للحدود التركية، فهي مضبوطة بانتظام وهناك إجراءات صحية قاسية من قبل الحكومة التركية."

ويضيف التامر: "الخاصرة الوحيدة الرخوة هي المعابر مع النظام في شمال حلب، حيث ينتقل الناس بين مناطق النظام والمناطق المحررة، خصوصًا أنّ كل التقارير الأممية تتحدث عن إصابات كثيرة في مناطق النظام، والسبب هو قدوم المليشيات الإيرانية بدون الخضوع لأي رقابة أو إجراءات صحية على هذه الحدود حيث أدى الأمر إلى تفشي الوباء في مناطق النظام".

وحول الخطوات التي تتبعها النقابة لمواجهة الفيروس، يشير التامر: "وجهنا العديد من المناشدات من أجل إغلاق المعابر أولًا وقمنا بحملات توعوية كبيرة على الصعيد الشعبي من خلال ندوات وبروشورات تحدثنا فيها عن مخاطر الفيروس والفئات المستهدفة، وخصوصًا كبار السن وذوي الأمراض الرئوية، وكذلك بدأنا بالإستعدادات اللازمة عن طريق المنشآت الطبية للاستعداد لمواجهة الفيروس، وإرسال عدد من الأطباء لإجراء تشخيص مخبري في أنقرة في مخبر الفيروسات، للتمكن من إجراء الاختبارات النوعية."

وتعمل منظمات المجتمع المدني وفرق الدفاع المدني على حملات مكثفة من أجل تعقيم الأماكن العامة ومناطق المخيمات وتوزيع المعقمات والكحول وأدوات التنظيف، وذلك منعًا لانتشار الفيروس خصوصًا مع عدم تسجيل أي إصابة في صفوف المدنيين حتى الآن.

يقول مدير مؤسسة الدفاع المدني في سوريا رائد الصالح، من جهته: "الخطوات الطبية المباشرة لمواجهة فيروس كورونا من مخابر تحليل وتجهيز مشافي هي مسؤولية القطاع الطبي في شمال غربي سوريا، أما عمل الدفاع المدني فيأتي في سياق الوقاية والتوعية بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى وجود تنسيق مع الجهات الطبية لإنشاء مراكز حجر صحي وتجهيز منظومة إسعاف خاصة للتعامل مع أي إصابات بفيروس كورونا."

وبخصوص الإجراءات التي يعمل عليها الدفاع المدني يضيف الصالح: "من أجل حماية المدنيين من فيروس كورونا، فقد أطلق الدفاع المدني السوري، في ١٨ آذار، حملة تطهير للوقاية من فيروس كورونا، وتهدف الحملة لتطهير المرافق العامة من مدارس ومشافي ومخيمات ومراكز إيواء ومنشآت عامة، ويتم ذلك عبر قيام فرق مدربة من الدفاع المدني برش مادة(بينلي) وهي مادة معقمة بدون آثار جانبية."

ويشير الصالح: " تم تطهير ٧ آلاف مرفق حيوي ومخيم بشمال غربي سوريا منذ ١٨ آذار حتى ٢٦ نيسان، بينها ١٢٦٢ مخيمًا، ونحو ١٥٠٠ مدرسة وأكثر من ٦٠٠ نقطة طبية ومشفى ومئات المرافق الحيوية الأخرى، ولايزال العمل مستمرًا حتى تغطية كافة مرافق الشمال السوري. وبالتوازي مع عمليات التطهير، أطلقت الخوذ البيضاء حملة توعية، وتتضمن تنفيذ وقفات تحت عنوان" خليك ببيتك" بهدف حث المدنيين على الالتزام قدر المستطاع بالبقاء في المنازل."

وقد طالبت فرق الدفاع المدني بعدم الخروج إلا في حالات الضرورة، بالإضافة إلى نشر ملصقات تعرّف الفيروس وأعراضه وطرق الوقاية منه، مع قيام متطوعي ومتطوعات من الخوذ البيضاء بتوعية المدنيين بشكل مباشر على طرق الوقاية من الفيروس، وخاصة في المخيمات، وتم تنفيذ عمليات التوعية في نحو ١٨٧٩ موقعًا حتى ٢٦ نيسان.

وفي هذا الصدد، يشير الصالح: " تهدف الحملة بشكل مباشر لتأمين دعم نقدي عاجل للعوائل لا سيما نازحي المخيمات ومن السّيدات المعيلات وذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السّن إضافةً إلى المعلمين، في الداخل السوري ودول الجوار (لبنان، العراق، الأردن، تركيا)، وتسليط الضوء على أهم الاحتياجات الإنسانية للسوريين الذين يعانون من تردي أوضاعهم المعيشية بعد تسع سنوات من الحرب وبدأت معاناتهم تتفاقم خلال هذه الفترة مع إجراءات الحجر الصحي والوقاية من فيروس كورونا."

ويوضح الصالح: "يمكن القول إنّ تأثير فيروس كورونا كان واضحًا على كافة مجالات الحياة على مستوى العالم، ورأينا كيف اختلف نمط الحياة في أغلب الدول لمواجهة هذا الفيروس، وبدأت الدول بخطط طوارئ، وهذا الأمر ينسحب على الشمال السوري، حيث أن مخاوف وصول الفيروس بالشمال السوري، دفعت العديد من المنظمات لإيقاف جزء من مشاريعها وخططها وتحويل مجهودها لمواجهة الفيروس."

وحول المشاكل التي سببها كورونا للعمل المدني ينوه: " الفيروس سبب إعاقة للعمل المدني سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، فالإجراءات التي اتخذتها المؤسسات والمنظمات سواء ضمن مكاتبها أو في أماكن العمل والمشاريع أدت لتأخر أو إيقاف عدد كبير من المشاريع، كما أدى انتشار الفيروس على مستوى العالم لتأثر عمليات التحويل المالي لهذه المؤسسات بشكل مباشر."

وأطلقت عدة منظمات مدنية وإنسانية وطبية عاملة في الشمال السوري، بينها الدفاع المدني السوري، في ٢١ نيسان، "فريق الاستجابة الوطنية لجائحة الكوفيد -١٩ في سوريا" ويهدف فريق الاستجابة لتنسيق الجهود ومتابعة الخطط وضمان تسخير كل الموارد البشرية والمادية والمعرفية لمكافحة الفيروس في الشمال السوري، عبر التنسيق والتواصل مع كافة المعنيين بالقطاع الصحي والقطاعات الأخرى، والتواصل مع الأمم المتحدة ومنظماتها.

وقد صرح نائب مدير الصحة في إدلب: " أهم مخاطر تفشي الفيروس هو وجود ما يقارب مليون و ١٠٠ ألف مهجر في الخيام، خصوصًا في ظل ظروف الحياة الاقتصادية الصعبة والبنية التحتية غير المؤهلة لانتشار الفيروس، حيث أنه أصيب أكثر من ٣ ملايين شخص حول العالم، فإن وصول الفيروس للشمال السوري سيؤدي إلى تفشيه بشكل كبير."

ويضيف: "لدينا ضعف كبير في النظام الصحي، حيث أننا نعمل في حالة طوارئ منذ ٩ سنوات، وخصوصًا أنّ ما يقارب ٥ بالمائة من المصابين سيدخلون العناية المركزة، وهذا يتطلب وجود أقنعة جراحية، وأجهزة تنفس، ومعدات أخرى حيث أن الموجود لدينا من هذه المعدات لا تكاد تكفي للمرضى العاديين، لذلك لا نملك ولا عناية شاغرة للمرضى."

وحول الخطوات الطبية لمواجهة الفايروس يقول: " نعتمد بالدرجة الأولى على موضوع الوقاية بالإضافة إلى أنه تم إطلاق عدة حملات لفرق تطوعية (متطوعون من أجل الكورونا)، بالإضافة إلى تدريبات أون لاين للكوادر الطبية، كذلك نحن بصدد إنشاء ٢٨ وحدة عزل مجتمعي بالاشتراك مع منظمة الصحة العالمية."

في الوقت عينه، أعلنت مجموعة من المؤسسات والمنظمات السورية العاملة في الشأن الإنساني، في ٢٧ نيسان ٢٠٢٠، إطلاق حملة إنسانية، تحت اسم "نتكافل" بهدف دعم السوريين الذين أثقلت سنوات الحرب على كاهلهم وازدادت معاناتهم خلال الفترة الحالية بسبب أساليب الوقاية من فيروس كورونا في الداخل السوري وفي بلاد اللجوء المجاورة.

وتخشى منظمات المجتمع المدني من ظهور إصابات لاحقًا في الشمال السوري إذ إنّ هذا الامر سيسبب كارثة إنسانية بسبب عدم وجود نظام صحي لعلاج الحالات، بالإضافة إلى الشلل الذي يصيب منظمات المجتمع المدني التي تعمل على مساعدة النازحين في الشمال السوري.

وفي هذا الصدد، يقول أحد المسؤولين في مركز للتدريبات:" بدأنا بتجهيز مراكز عزل ومشافي لاستقبال المصابين بفيروس كورونا، حيث قمنا بتدريب جميع العاملين في هذه المشافي من أجل أن يكون هؤلاء العاملين من طبيب إلى قابلة إلى صيدلي جاهزين من أجل أن يتم التعامل مع هذه الحالات بفعالية أكبر."

ويضيف: " الفيروس يعيق العمل الإنساني والفعاليات السياسية في الشمال السوري وحتى المدارس وحركة الأسواق وعمل المشافي، حيث أن تأثيره على عمل المنظمات تم من خلال تخفيض الكوادر وتعليق الاعمال، مثل التعليم والحماية من أجل تحفيف التجمعات."

ومن ناحية أخرى، ألغت الفعاليات المدنية والهيئات السياسية ومراكز تمكين المرأة والدعم النفسي عشرات الاجتماعات والفعاليات في ريفي إدلب وحلب بسبب الخوف، حيث تقوم باجتماعات مصغرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ما سيؤثر على العمل المدني لاحقًا.

تقول ناشطة حقوقية ومديرة تجمع لدعم المرأة، من جهتها:" كان لظهور فيروس كورونا تداعيات على كل مفاصل الحياة، حيث أدى إلى تعطيل وإيقاف الكثير من الأعمال والنشاطات في مختلف القطاعات، ومنها عمل منظمات المجتمع المدني فأدى إلى إيقاف نشاطاتها واقتصارها على المجالات الإغاثية أو التوعية حول الفيروس."

وتضيف:" توقفت فعاليات ثقافية ورياضية ومسابقات أدبية وندوات وغيرها، وأوقفت اجتماعات ودورات

تدريبية في مختلف المجالات. بسبب طول المدة، لجأت بعض المنظمات والمراكز إلى القيام بنشاطات عبر وسائل التواصل الاجتماعي (أون لاين)، فأصبحت تقام الدورات التدريبية والندوات والاجتماعات وحملات التوعية من خلال الإنترنت."

وبحسب منظمة الصحة العالمية، لا تعمل في سوريا الآن سوى ٦٤٪ من المستشفيات و٥٢٪ من مراكز الرعاية الصحية، كما فرّ ٧٠٪ من العاملين الصحيين من البلاد. وتعرّضت الكوادر الطبية طوال سنوات الحرب إلى التضييقات مثل الاعتقال والاختفاء وغالبا ما تكون القوات الموالية للنظام السوري مسؤولة عن الهجمات التي تستهدف العاملين الصحيين كالأطباء والممرضين والمرافق الطبية.

كما تتحدث ناشطة إنسانية في الشمال السوري، التي تعتبر من بين أكثر ١٠٠ امرأة تأثيرًا حول العالم، كما اختارتها شبكة بي بي سي، عن العوائق التي تواجه الفعاليات المدنية والإنسانية وتقول:" بسبب التخوف من تأثير الفيروس، إنحسر عمل المنظمات على جلسات التوعية وبشكل فردي، وتوقفت الكثير من النشاطات، وخصوصًا النشاطات الجماعية داخل المراكز أو خارجها، بسبب التخوف من انتشار الفيروس والوقاية وأخذ الاحتياطات اللازمة من أجل عدم التسبب بالأذى للناس."

وتضيف: " إقتصر عمل الكثير من فعاليات المجتمع المدني على الأون لاين. وحتى لو كان هناك تدريبات، فإن عدد الأشخاص لا يتجاوز ١٠ متدربين في القاعة بعد أخذ كل الاحتياطات من تعقيم المكان وارتداء الحاضرين للكمامات والكفوف، وتنفيذ عملية التباعد الاجتماعي خشية من انتشار الفيروس."

وتشير إلى أن" العمل في المنزل سبب أعباءً كبيرة للموظفين، وعرضهم إلى الضغط النفسي، إذ أشار موظفي منظمات المجتمع المدني من خلال استطلاع للرأي، إلى أن العمل في المكاتب أفضل بكثير من العمل داخل المنزل."

وتوضح: " بما أنه ليس هناك حالات داخل الشمال السوري فإن فعاليات المجتمع المدني السياسية والإنسانية مستمرة ولكن بحذر وبطء شديد، وهذا التأثير ينعكس بشكل كبير على الجانب النفسي وليس الصحي، لأنّ الفيروس لم ينتشر بفضل طرق الواقية التي تتبعها المنظمات والقطاعات الصحية".

ولم تتوقف المنظمات الإنسانية عن تقديم مشاريع السلال الغذائية للمهجرين والنازحين على الرغم من التخوف من انتشار فيروس كورونا، إنما اتبعت خطواتٍ جديدةً تتضمن ارتداء الكمامات والكفوف للعاملين في المجال الإنساني، بالإضافة إلى وضع المعقمات والطلب من المستفيدين التعقيم قبل استلام المواد الغذائية."

يقول أيهم العبد الله، وهو ناشط إنساني في مؤسسة الهيئة العالمية للإغاثة: " مع تفشي فيروس كورونا بالشمال السوري، قمنا بشراء المعقمات والكحول وكمية وافرة من الكمامات الطبية والكفوف ووزعناها على كافة العاملين في المؤسسة، حيث يقومون بارتدائها على مدار اليوم في العمل، وأثناء توزيع المواد الغذائية."

ويضيف: " طلبنا من المجالس المحلية تقسيم المستفيدين إلى مجموعات متفرقة، حيث تأتي مجموعة مكونة من ١٠ أشخاص في كل فترة زمنية معينة، ويتم تسليمهم حصصهم الإغاثية مع شرط الابتعاد عن بعضهم لمسافة عدة أمتار، وتعقيم أيديهم قبل تسلم المواد وبعدها، أي الالتزام الإجراءات الوقائية لمنع تفشي الفيروس."

ويشار إلى أن وزارة صحة النظام السوري أعلنت حتى اليوم ارتفاع الوفيات جراء فيروس كورونا إلى ٣ والإصابات إلى ٣٩. وذكرت الوزارة، في بيان نقلته وكالة أنباء النظام "سانا"، تسجيل إصابة جديدة بالفيروس وحالة وفاة، في حين أعلنت وزارة الصحة في الحكومة المؤقتة عن إجراء ٣٣٢ عينة وكانت جميعها سلبية.

إقتصادات في مهب الريح :الإقتصاد العراقي في ظل أزمة جائحة كورونا

أحمد يوسف الجميلي

ألقت جائحة كورونا بثقلها على الإقتصـــاد العالمي وألحقت ضررًا بأكبر إقتصـــادات العالم. والعراق الذي يعاني أزمات إقتصـــادية، وسياسية، وأمنية مزمنة بالإضافة إلى حكومة فاشلة لا يبدو بمنأى عن ذلك في حين تســـتمر الجائحة بحصد المزيد من الضحايا في المدن والمحافظات العراقية.

على الصعيد الإقتصادي، هبطت أسعار النفط إلى أدنى مستوياتها منذ عقود. يعتمد الإقتصـاد العراقي بشكل كامل تقريبًا علـى عائدات النفط، ويواجه إحتمالية الإنهيار وعدم القدرة علـى دعم رواتب موظفـي القطاع العام. وفـي غياب البدائل الإقتصادية، لا يستطيع العراق تعويض العجز في الميزانية العامة.

يتجه العراق نحو كارثة ســتجبر الحكومة على اعتماد أحد الخيارين: الخيار الأول: اعتماد إصـــلاح حقيقي يغيّر إستراتيجية الحكومة في إدارة المصـادر والمؤسسـات ومكافحة الفسـاد أو الخيار الثاني: الاستمرار بنهج الحكومة الســابق. ويختلف الوضع حاليًا إذ إنّ العالم يقف على شفير أزمة إقتصـــادية خانقة مع مواجهة اقتصـــادات أكبر بأضعاف من اقتصـــــاد العراق خطر الإنهيار. وفي كلا الخيارين، سيتكبد العراق تكاليف عالية وقد يختبر أسوأ السيناريوهات.

يجب طرح هذين الســؤالين الأساسيين: ما التأثيرات المتوقعة للجائحة على الاقتصـــاد العراقي؟ ما هي خيارات الحكومة لمواجهة أسوأ السيناريوهات؟

تشـكل عائدات النفط، وهي مصـدر الدخل الأساسي للحكومة، ٩٨٪ من مجموع إيرادات الصـادرات، ٤٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي و٩٣٪ من مجموع عائدات الميزانية العراقية. بحسب كبير المسـتشـارين الاقتصـاديين لرئيس الوزراء، تم تمرير ميزانية السنة المالية ٢٠١٩ مع عجز يُقدر بمبلغ ٢٢,٦ مليار دولار أميركي، أي بنسبة ٢٠٪ من إجمالي النفقات البالغة ١٠٦ مليار دولار أميركي. وتم تمويل العجز بدون أي اقتراض محلي أو أجنبـي، إذ إنّ التمويل الريعي له مصدران: المصـدر الأول: الفائض من ميزانية السـنة المالية ٢٠١٨ المتداول الذي لا يقل عن ١٤,٣ مليار دولار أميركي، والمصدر الثاني: زيادة عائدات النفط في سنة ٢٠١٩. في الحقيقة، تستند ميزانية السنة المالية ٢٠١٩ على سعر ٥٦ دولارًا أميركيًا لتصدير البرميل الواحد في حين أنّ سعر تصـدير البرميل الخام العراقي يقدر بمبلغ ٦٤ دولارًا أميركيًا مع قدرة تصـدير تبلغ ٣,٨ مليون برميل يوميًا. ويجب الأخذ بعين الإعتبار زيادة رواتب الحكومة ونفقات المرتبات في الميزانية بنسبة ٥٧٪.

هبطت أسعار النفط إلى أدنى مسـتوياتها تاريخيًا بسـبب انهيار الطلب العالمي على النفط جراء تفشـي وباء كورونا وحرب الأسعار السعودية-الروسية التي هددت بإغراق الأسواق بالنفط. وهبطت أسعار النفط الخام الأميركي إلى ٢٠ دولارًا أميركيًا في عقود تسليم شهر حزيران/ يونيو، ما يناهز أسعاره عند بداية التداول به. وفي الوقت نفسـه، إنخفضـــت أسعار البرنت إلى ما دون ٢٦ دولارًا أميركيًا للبرميل الواحد. على الرغم من توصّل منظمة الدول المصـــدرة للبترول (الأوبيك) وحلفائها المنتجين للنفط إلى إتفاق حول أهم تخفيض للإنتاج يصـــل إلى ١٠٪ من الإنتاج العالمي (٩,٧ مليون برميل يوميًا) لشـــهري أيار/مايو وحزيران/يونيو، ما زال الطلب أقل بكثير من هذا المستوى. يقول ستيفن إينيس، كبير استراتيجي الأسواق في شركة أكسـي كورب AxiCorp: "على الرغم من كمية

خفض الإنتاج الهائلة، لن تكفي لإعادة التوازن إلى السوق."[1] بموجب الإتفاق مع أوبيك + الموقع في منتصف شهر نيسان/أبريل، وافق العراق على تخفيض إنتاجه بمعدل ١,٠٦ مليون برميل يوميًا لشهري أيار/مايو وحزيران/يونيو من ٤,٦٥٣ مليون برميل يوميًا إلى ٣,٥٩٢ مليون برميل يوميًا. وبالنسبة إلى النصف الثاني من سنة ٢٠٢٠، وافق العراق على إبقاء معدلات إنتاجه على مستوى ٣,٨٠٤ مليون برميل يوميًا. وإبتداءً من شهر كانون الثاني/ يناير ٢٠٢١ إلى شهر نيسان/ أبريل ٢٠٢٢، يتعهد العراق بإنتاج ٤,٠١٦ برميل يوميًا، أي تخفيض الإنتاج عن المعتاد بمعدل ٦٣٧٠٠٠ برميل يوميًا.[2]

بحسب تقرير توقعات الطاقة قصيرة الأجل (STEO) لشهر نيسان/أبريل الصادر عن إدارة معلومات الطاقة الأميركية، من المتوقع أن ينخفض الطلب العالمي على النفط والوقود السائل في سنة ٢٠٢٠ بمعدل ٥,٢ مليون برميل يوميًا بعد أن كان هذا الطلب في السنة الفائتة يناهز ١٠٠,٧ مليون برميل يوميًا ليعود ويرتفع بحوالى ٦,٤ مليون برميل يوميًا في سنة ٢٠٢١. ويعكس انخفاض نمو الطلب العالمي لعام ٢٠٢٠ المتوقع في تقرير توقعات الطاقة قصيرة الأجل فكرة أنّ وباء كورونا المستجد زاد من خلل النشاط الإقتصادي العالمي وخفّض نسب الرحلات الجوية العالمية المتوقعة. تتباين توقعات أسعار النفط لسنة ٢٠٢٠ بين البنوك أو شركات الطاقة. في حين خفضت الشركة الاستشارية المحدودة المسؤولية "Energy Aspects" وشركة غولدمن ساكس "Goldman Sachs" توقعاتهما لسعر النفط الخام برنت المرجعي إلى معدل ٢٠ دولارًا أميركيًا للبرميل في سنة ٢٠٢٠، توقعت شركة التصنيف فيتش "Fitch Ratings" وشركة جي بي مورجان "JP Morgan" أنّ يصل معدل الأسعار إلى ٣٥-٤٠ دولارًا أميركيًا للبرميل في سنة ٢٠٢٠.

إرث ثقيل

في البداية، كانت الميزانية الفيدرالية لسنة ٢٠٢٠ التي اقترحتها السلطات العراقية تصل إلى ١٣٥ مليار دولار أميركي مع عجز مقدر بأكثر من ٤٠ مليار دولار أميركي، أو حوالى ٣٠٪، بالإستناد إلى سعر تصدير النفط المقدر ب ٥٦ دولارًا أميركيًا للبرميل. وتسجل هذه الميزانية أعلى عجز في الميزانية العراقية لعقود. ونتيجةً للخلافات السياسية واستقالة رئيس الوزراء عادل عبد المهدي وسط تظاهرات شعبية في السنة الفائتة، فشلت الحكومة في الموافقة على مسودة ميزانية السنة المالية ٢٠٢٠.

نظرًا للجمود السياسي، فشلت الفئات السياسية العراقية بتشكيل حكومة لأكثر من أربعة أشهر. وازداد المشهد السياسي العراقي تعقيدًا بسبب تفشي وباء كورونا. ويعاني الإقتصاد العراقي صعوباتٍ جمة:

- سيؤدي إنهيار أسعار النفط المتوقع إلى خسارة ثلثي الإيرادات العراقية الصافية في هذه السنة. تنخفض إيرادات النفط الشهرية التي يجنيها العراق من تصدير ٣,٣ مليون برميل يوميًا: في شهر كانون الثاني/يناير، كانت الإيرادات ٦,١٦٣ مليار دولار أميركي بالإستناد إلى متوسط سعر ٦٠,١٣٩ دولارًا أميركيًا للبرميل الواحد. في شهر شباط/فبراير، ٥ مليار دولار أميركي بالاستناد إلى متوسط سعر ٥١,٣٧٤ دولارًا أميركيًا للبرميل الواحد. في شهر آذار/مارس، ٢,٩٨٩ مليار دولار أميركي بالاستناد إلى متوسط سعر ٢٨,٤٣٦ دولارًا أميركيًا للبرميل الواحد. في شهر نيسان/أبريل، ١,٤٢٣ مليار دولار

(1) "Instant View: OPEC+ cuts will not be enough to halt oil collapse - analysts", Reuters, April 9, 2020, available at: https://www.reuters.com/article/us-global-oil-opec-factbox-instantview/instant-view-opec-cuts-will-not-be-enough-to-halt-oil-collapse-analysts-idUSKCN21R2ZT.
(2) "Between a Rock and a Hard Place: Iraq's Pledge to Cut Oil Production", Council on Foreign Relations, May 1, 2020, available at: https://www.cfr.org/blog/between-rock-and-hard-place-iraqs-pledge-cut-oil-production.

أميركي بالإستناد إلى متوسط سعر ١٣,٨٠١ دولارًا أميركيًا للبرميل الواحد.

- توسع هائل في النفقات التشغيلية. كانت مرتبات القطاع العام تصل إلى ٥٧٪ من الإنفاق المالي في سنة ٢٠١٨. ومن المتوقع أن تزيد بنسبة ١٠٪ في سنة ٢٠٢٠ مع توظيف حوالي ٥٠٠٠٠٠ موظف جديد عيّنتهم الحكومة المستقيلة في القطاع العام كجزء من إصلاحاتها. ويكشف هذا التوسع الضعف الهيكلي في الميزانية. ولا تغطي المداخيل المتوقعة النفقات على الأجور، ومعاشات التقاعد والتحويلات.
- دين عام هائل يصل إلى ٥٥٪ من ناتج المحلي الإجمالي العراقي، وهو يقترب من أعلى مستوى تسمح به مؤسسات التصنيف ألا وهو ٦٠٪ من الناتج الإقتصادي. بحسب الأمانة العامة لمجلس الوزراء، إرتفع الدين السيادي العراقي ليصل إلى ١٣٩ مليار دولار أميركي في سنة ٢٠٢٠.

في تقرير آفاق الإقتصاد العالمي لشهر نيسان/أبريل ٢٠٢٠، توقّع صندوق النقد الدولي تباطؤًا حادًا في الإقتصاد العراقي في سنة ٢٠٢٠، وإنخفاض الناتج المحلي الإجمالي العراقي الحقيقي بنسبة ٤,٧٪. وفي الوقت نفسه، توقع البنك الدولي انخفاض الناتج المحلي الإجمالي بنسبة ٩,٧٪ في سنة ٢٠٢٠، منخفضًا من نمو إيجابي وصل إلى ٤,٤٪ في سنة ٢٠١٩، وهو أسوأ أداء للإقتصاد العراقي منذ سنة ٢٠٠٣. وسيؤدي ذلك إلى عجز بنسبة ٣٠، ما يتراوح بين ٧ إلى ٨٪ من الناتج المحلي الإجمالي. ولا تتناسب هذه النسبة مع النسبة المسموح بها في قانون الإدارة المالية العامة الجديد الذي اعتمده البرلمان العراقي في سنة ٢٠١٩ لتعزيز الإطار القانوني للإدارة المالية العامة. ويتعلق أحد بنود قانون الإدارة المالية العام بمالية الحكومة، ويشترط عدم تجاوز العجز السنوي نسبة ٣٪ من الناتج المحلي الإجمالي وعدم تجاوز الدين الوطني نسبة ٦٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي.

خيارات صعبة

في ضوء ما ذُكر سابقًا، تواجه الحكومة خيارات صعبة ومعقدة لإيقاف التراجع الإقتصادي والمالي بسبب وباء كورونا:

١. التفاوض مع شركات النفط لتخفيض كمية الإنتاج وتكلفته (حوالى ١٠-١٢ دولارًا أميركيًا للبرميل الواحد) بدون وضع أعباء مالية على العراق. تواجه الحكومة العراقية صعوبات في تخفيض إنتاجها بمعدل مليون برميل يوميًا من الناتج الخام للإلتزام بتعهدها بتخفيض الإنتاج بموجب إتفاق أوبيك+. فشركات أساسية مثل شركة بي بي "BP"، وأكسون موبيل "Exxon Mobil"، ولوك أويل "Lukoil"، وأني "Eni" تمتلك حصة الأسد في الناتج العراقي، وعارضت، إلى حد الآن، الدعوات لتخفيض الإنتاج.[٣]
٢. بدلًا من الإستثمار، إستخدام الديون الخارجية والقروض الأجنبية لتغطية النفقات التشغيلية. سيشلّ الإقتراض الخارجي بدون القدرة على دفع هذه الديون البلدَ وسيلقي بثقله على الميزانية العامة مع الفوائد العالية الناتجة عنه. سيراكم ذلك الدين، ويزيد من إجمالي النفقات إلى الناتج المحلي الإجمالي (٥٥٪) ويفاقم العجز المالي السنوي.
٣. إختيار الدين الداخلي لتمويل عجز الميزانية. قد يؤدي النقل إلى الإقتراض الداخلي إلى زيادة ضغط على المستثمرين المؤوسسين والبنوك لامتصاص الدين الحكومي "الكبير جدًا". من جهة أخرى، تستحوذ شركات مملوكة ملكية رسمية مثل مصرف الرافدين، ومصرف الرشيد، والمصرف التجاري العراقي، والبنك المركزي العراقي على الدين الداخلي الحكومي. على الرغم من استقلالية هذه المصارف عن

(3) "Iraq faces problems cutting 1 million bpd of crude output: sources", Reuters, April 30, 2020, available at: https://www.reuters.com/article/us-iraq-oil/iraq-faces-problems-cutting-1-million-bpd-of-crude-output-sources-idUSKBN22C3OG.

الحكومة، تستفيد من ميزات أكثر من الكيانات الأخرى عند تعاملها مع الحكومة.[٤] ما سيزيد من الدين العام الداخلي الذي يصل تقريبًا إلى ٤١ مليار دولار أميركي.

٤. إعادة هيكلة نفقات الميزانية. تُخصص معظم الميزانية العامة للسنة المالية ٢٠٢٠ للنفقات التشغيلية مثل الرواتب والإلتزامات المالية الأساسية وليس للإستثمارات والنفقات الأخرى. سيزيد ذلك من نسب البطالة وسيفاقم أزمة الفقر. قُدرت نسبة الفقر بمعدل ٢٣٪ في سنة ٢٠٢٠ في البلد، ووصلت نسبة البطالة إلى أكثر من ١٨٪.

٥. زيادة مداخيل الحكومة إلى أقصى حد بمكافحة الفساد. يهدر الفساد المصادر ويُبعد سياسات الحكومة عن أهدافها الأساسية. يُصنّف العراق في المرتبة ١٦٢ من أصل ١٨٠ بلدًا بحسب آخر إصدار لمؤشر مدركات الفساد الصادر عن منظمة الشفافية الدولية. على سبيل المثال، تسيطر الأحزاب السياسية النافذة والجماعات المسلحة على عائدات المعابر الحدودية التي تصل إلى ١٠ مليار دولار أميركي سنويًا، في حين تتلقى الحكومة ٢ مليار دولار أميركي منها. تنفذ هذه الأحزاب والجماعات عمليات تهريب عبر معابر أخرى غير شرعية لا تعترف بها الحكومة ولا سلطات الجمارك.

سيتعين على العراق اتخاذ خيارات أصعب إذا طال أمد الأزمة الناتجة عن الجائحة. في ظل النزاع المتصاعد بين الولايات المتحدة وإيران، سيواجه العراق غضبًا أميركيًا إقتصاديًا إذا لم ينأ بنفسه عن هذا النزاع. تزداد المخاوف من تهديد ترامب بفرض عقوبات مباشرة قاسية على العراق إذا خرج الجيش الأميركي بطريقة غير ودية من العراق بعد طلب هذا الأخير. يمكن أن يكون تأثير العقوبات الإقتصادية المحتملة عظيمًا، ما قد يؤدي إلى تفاقم الوضع الإقتصادي في البلد. ومن جهة أخرى، تزداد حدة الأزمة الإقتصادية بسبب مشكلة رواتب الموظفين في إقليم كردستان. أوقفت الحكومة العراقية تمويل رواتب موظفي حكومة إقليم كردستان وقوات البيشمركة لأنّ حكومة إقليم كردستان رفضت تسليم ٢٥٠٠٠٠ برميل يوميًا لشركة تسويق النفط المملوكة من الدولة سومو بمقابل تمويل رسمي بموجب قانون الميزانية العراقي ٢٠١٩.[٥] وأدانت حكومة إقليم كردستان القرار، وطالبت بمبلغ ٣٨٤ مليار دولار أميركي للتعويض عن الضرر السابق والإنتهاكات التي لحِقت بهذه المنطقة.

الفرصة الأخيرة

يجب أن تعتمد الحكومة العراقية الجديدة برنامجًا جديًا يشمل الجهود السياسية لإبعاد النفوذ الإيراني في حين يحصل العراق على دعم إقتصادي وسياسي وعسكري أميركي يحتاجه هذا البلد بشدة، بخاصةٍ مع استئناف الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام (داعش) عملياتها الإرهابية من خلال الاعتداءات على قوات الأمن العراقية في مدن عدة مثل ديالى، والأنبار، وصلاح الدين، وكركوك والموصل. وسيكون هذا الدعم مبني على فكرة أنّ العراق حليف أساسي للولايات المتحدة في المنطقة. في شهر حزيران/ يونيو، يقدّم "الحوار الاستراتيجي" الفرصة الأخيرة للحفاظ على هذا الدعم وإنقاذ الشراكة الأميركية- العراقية طويلة الأمد والحيوية.[٦]

على الصعيد الإقتصادي، لا بدّ أن يشمل البرنامج الحكومي تدابير فعالة لمواجهة آثار الوباء المدمرة. يجب أن

(4) Ahmed Tabaqchali, “Understanding Iraq’s debt: An overview of its status, outlook and origins”, Al-Bayan Center for Planning and Studies, 2018, p.11.
(5) Dana Taib, “Iraq cuts federal budget from KRG, Kurds defy it as political”, Al-Monitor, May 5, 2020, available at: https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2020/05/iraq-kurdistan-budget-economy.html.
(6) John Hannah and Maseh Zarif, ”Elephants in the Room: The U.S.-Iraqi Relationship Is Coming to a Head and That’s a Good Thing”, Foreign Policy, May 4, 2020, available at: https://foreignpolicy.com/2020/05/04/united-states-iraq-iran-relationship/.

تنتهج الحكومة سياسيات أقسى في مكافحة الفساد، وإدارة المال العام، وإنفاذ القانون والحد من تجارة الأسلحة إلى الدولة العراقية. بمعنى آخر، حل جميع الميليشيات. ويجب أن يترافق ذلك مع الجهود لتحسين التجارة، والإستثمار في المناخ، وعمليات الإصلاح والتنظيمات التي تعيق الإستثمار في العراق.

أخيرًا، إنّ الإستمرار بنهج الحكومة السابقة في ظل وباء كورونا، وهو التحدي الأكبر منذ الحرب العالمية الثانية، سيضع الإقتصاد العراقي في مهب الريح وسيدفعه إلى اختبار أسوأ السيناريوهات التي قد تهدد وجوده وسلامة أراضيه.

كورونا: فيروس الجوع والموت الاقتصادي

علي عبد الهادي عبد علي العتابي

كنت كثيرا ما اشاهده يمر من امامي حاملا آلته الزراعية البدائية والمعروفة باللهجة العراقية بـ (المســـحاة) ليلقي علي السلام ثم يستطرق ذاهبا الى عمله في الصباح الباكر سيراً على الاقدام. "أبو علي"، جاري الفقير الذي يعمل عامل بناء بأجر يومي لا يتعدى ١٣ دولار يومين في الأسبوع ويسكن بأرض لا تعود له وبأطراف حينا السكني، بات اليوم جليس الدار بعد فرض حظر التجوال بسبب جائحة كورونا نظرا لتوقف اغلب المشاريع الاقتصادية التي يعتمد عليها رزقه لا سيما مشاريع البناء.

"أبو علي" واحد من الاف العمال الذين فقدوا مصدر رزقهم اليومي وأصبحوا يعيشون على مساعدات اهل الخير التي تأتي تارة وأخرى لا يحالفه الحظ فيها، يكابد مع عائلته المكونة من زوجته واطفاله الأربعة ضنك العيش.

وتقول منظمات شبه رسمية ان ما يقرب من مائة الف عامل واجير وصاحب دخل يومي فقدوا عملهم بسبب الإجراءات الوقائية التي تتبعها السلطات العراقية، في وقت قامت دول أخرى في أيام الحظر الاجباري بتقديم منح مالية شهرية تتراوح ما بين مئتي دولار كحد ادنى وألف واربعمائة دولار في بعض الدول الاوربية، غير ان العراق الذي يصدر وفق منظمة أوبك حوالي أربعة ملايين وستمئة الف برميل من النفط يومياً، غير قادر على تعويض أصحاب الدخول المحدودة وخسائرهم اليومية نظرا لانخفاض أسعار النفط العالمي الذي وصل في ادنى مستوياته منذ عقود الى ٢٠ دولاراً للبرميل الواحد يضاف لها سياسة خفض الإنتاج التي ستدخل حيز التنفيذ بدءا من الأشهر القادمة وحتى نهاية العام ٢٠٢١ ، اذ سيكون العراق مضطرا لخفض ما يقارب مليون وستمئة ألف برميل أي بنسبة ٢٣٪ من مجمل انتاجه اليومي.

خبراء في مجال النفط والطاقة أكدوا ان العراق سيتكبد خسائر فادحة نتيجة موافقته على قرار التخفيض الذي فرضته أزمة كورونا وضعف الطلب على النفط العالمي من حيث انه يصدر اقل من حصته الرسمية المقدرة وفق منظمة الدول المصدرة للنفط "أوبك" والبالغة ستة ملايين برميل يوميا. فضلا عن ان العراق يعد ثاني أكبر مصدر في المنظمة بعد السعودية يضاف لها تكلفة انتاج برميل النفط العراقي التي يتراوح بين ١٠ -١٣ دولارا للبرميل، الامر الذي يراه مختصون على انه سيضع الحكومة في حرج امام دفع مرتبات موظفيها الذي وصل تعدادهم الى أكثر من ٤ ملايين موظف ويأخذون ٦٠٪ من اجمالي الموازنة التشغيلية للبلاد. هذا إذا ما صرفنا النظر عن تبعات كورونا الاقتصادية التي من المقدر ان تستمر حتى نهاية عام ٢٠٢٢ لا سيما على حركة النقل الجوي والمائي وقطاع الشحن والمواد الغذائية والسياحة.

ويرى خبراء في سوق العراق للأوراق المالية ان الموازنة العراقية الحالية التي احتسبت وفق سعر ٥٢ دولاراً للبرميل، في وقت هوت فيه الأسعار الحقيقية الى ما دون ٢٠ دولاراً ستجعل العراق يعاني عجزا ماليا يقدر ب٤٩ ترليون دينار عراقي. فضلاً عن التزامات مالية داخلية كانت قد وعدت بها الحكومة المستقيلة برئاسة عادل عبد المهدي بعد ان أطلقت وظائف مؤقته على شكل عقود لـ ٢٠٠ ألف عراقي في أكثر من وزارة استهلاكية، لاسيما وزارة التربية والتعليم العالي.

كل ذلك ولايزال العراق يعيش ازمة امنية وصحية خانقة حتى قبل انتشار جائحة كورونا، فحربه ضد الجماعات الإرهابية المسلحة في شمال غرب البلاد، والعمليات التعرضية التي تقوم بها خلايا تنظيم داعش لا تزال تشكل هاجسا يراود صناع القرار في بغداد، ما استوجب إنفاق العراق حوالي ٢٠،٥ مليار دولار على منظومته

العسكرية وتعزيز قدراته الدفاعية، وفق التقرير السنوي الذي أصدره معهد الدراسات الاستراتيجية في الولايات المتحدة الأمريكية بأنه حل العراق المرتبة ١٥ كأكثر بلدان العالم إنفاقاً على السلاح لعام ٢٠١٩.

وما يزيد المشهد الاقتصادي تعقيداً في العراق، هي الازمة الدائمة بين الحكومة الاتحادية وحكومة إقليم كردستان العراق، لا سيما بما يخص تقسيم عائدات نفط حقول شمال العراق والتي لا تزال حكومة الإقليم ترفض تسليمها الى الحكومة المركزية رغم ابرام أكثر من اتفاقية نصت على تسليم الإقليم لـ ٢٥٠ ألف برميل يوميا الى بغداد عبر شركة سومو الوطنية وهو امر لم يتحقق حتى اليوم وفق وزارة النفط العراقية على الرغم من دفع الحكومة المركزية رواتب موظفي الإقليم من عائدات النفط الاتحادية.

ورغم ان وباء كورونا قد ساهم بشكل واضح في تراجع الاقتصاد والحركة التجارية في البلاد من اشهر، الا انه قد تضطر الحكومة للقيام بإجراءات من شأنها تعزيز الاقتصاد الوطني لعل من ابرزها المقترحات التي تبناها مجلس الوزراء بخفض الانفاق الخارجي، ومنع استيراد السلع الكمالية، وتعزيز قطاع الزراعة المحلية، وإعلان وزارة الزراعة وصول العراق عتبة الاكتفاء الذاتي من محاصيل الحبوب، وقدرة الوزارة على تصدير ٨٥٠ الف طن من الشعير هذا العام وهي المرة الأولى التي يصل فيها الإنتاج مستويات قياسية منذ ٥٠ عاما، في وقت أعلنت فيه الوزارة منع استيراد ٢٥ نوعاً من المحاصيل الزراعية والحيوانية دعما للمنتج الوطني، الا ان ذلك لم يسهم فعليا في خفض الانفاق العام او التصدير أي مما تقدم بسبب وباء كورونا واغلاق الحدود الدولية واقتصارها على تبادل المواد الطبية الضرورية.

وفي الغضون، أعلنت الحكومة العراقية انها ستطلق منحة طوارئ للمتضررين اقتصادياً من جراء جائحة كورونا في خطوة تهدف للتقليل من التداعيات الكارثية على أصحاب الدخل المحدود، اذ اشارت الحكومة العراقية الى انها حددت مبلغ ٣٠ ألف دينار عراقي لكل مواطن متضرر لشهري نيسان وايار ٢٠٢٠، أي ما يعادل ٢٤ دولار للشهر الواحد، فيما أعلنت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ان عدد المتقدمين للشمول بهذه المنحة بلغ أكثر من ١٢ مليون مواطن.

الى ذلك شرعت العديد من المنظمات الإنسانية والفرق التطوعية وبعض المبادرات الشخصية من قبل ميسورين الى اطلاق حملات إغاثة واسعة في اغلب المدن العراقية، لا سيما الجنوبية منها وذلك بعد دعوة مرجعيات دينية واجتماعية ووجهاء الى التكافل الاجتماعي لتجاوز ازمة كورونا، ولم يقتصر أثر كورونا الاقتصادي على أصحاب الدخل المحدود فحسب، بل تعدى ذلك ليشمل فعاليات اقتصادية مختلفة، فمع تأخر اعلان اكتشاف لقاح فعال للفيروس المستجد وتشديد منظمة الصحة العالمية على ضرورة الالتزام بالإجراءات الوقائية وعدم التهاون بها، قررت الحكومة العراقية ضمن إجراءاتها الجديدة إيقاف عمل سيارات الأجرة التي يزيد عدد ركابها عن أربعة اشخاص فضلا عن إعادة العمل بنظام مديرية المرور القديم والمعروف محليا (بالزوجي والفردي) الذي يتلخص فحواه بتقسيم سير المركبات الخاصة في الشارع بحسب اول رقم من لوحة السيارة؛ يوم للسيارات التي تبدأ برقم فردي واخر لتلك التي تبدأ برقم زوجي ضمن خطة تقليل الزحمة في الشارع لمواجهة مخاطر كورونا، الامر الذي أعاق عمل أصحاب سيارات الأجرة، اذ بات عملهم نصف اسبوعي وفق النظام الحالي اما السيارات الخاصة فممنوع سيرها باستثناء مركبات الاجهزة الأمنية والصحية والصحفية.

ومن خلال ما تقدم، يمكن القول ان العراق بات على شفا حفرة من الركود الاقتصادي، لا سيما وان ريع البلاد احادي الدخل ويعتمد بنسبة ٥٩٪ على إيرادات مبيعاته من النفط الخام، يضاف لها الشلل الاقتصادي الداخلي ما يجعل من فيروس كورونا كالقشة التي قصمت ظهر الاقتصاد العراقي الذي لم يستثمر أي مورد طبيعي اخر في ظل حجم الفساد الذي تعانيه الدولة منذ ١٦ عاما، والمشاكل الأمنية الداخلية، وهو ما سيجعل من العراق ساحة خصبة للصراع القادم لكن ليس على النفوذ هذه المرة بل على الموارد الضئيلة المتبقية بين الفرقاء السياسيين

وستكون بانتظار العراق سنوات صعبة ان لم يكن في البلد حكم رشيد يستطيع انقاذ ما تبقى من إيرادات مالية وادارتها بشكل سليم لتجاوز ازمة قد تطول لسنوات.

ومع التحولات السياسية والاقتصادية الخطيرة التي طرأت في العراق خلال الأشهر القليلة الماضية، واهمها استقالة حكومة عادل عبد المهدي إثر التظاهرات المطلبية التي قادها الشباب وتحولها الى حكومة تصريف اعمال يومية لخمسة اشهر، تعثرت كثيرا دون ان تستطيع تحقيق أي هدف من اهداف برنامجها الحكومي المطول وصولاً الى اختيار رئيس وزراء جديد وهو رئيس جهاز المخابرات العراقي السيد مصطفى الكاظمي. لا يزال البلد يأن تحت وطئة الفقر والجوع الذي فاقمته جائحة كورونا، اذ اشارت تقارير صحفية الى ان العراق قد لا يكون قادر على صرف مرتبات موظفيه حتى نهاية العام الحالي دون ان تخضع لما وصف بالادخار الاجباري وبنسب متفاوتة تتراوح ما بين (١٢٪) للطبقات الأكثر تضررا وصولا الى (٣٥٪) للطبقات الأقل تضررا وفق حجم الراتب الفعلي لكل شريحة، وهو امر لاقى أصداء رافضة كبيرة في الشارع العراقي لا سيما وان اغلب الموظفين يعتمدون بشكل كلي على مرتباتهم، اذ تمنع القوانين العراقية النافذة على الموظف ممارسة أي عمل اخر في حال تمتعه بالوظيفة ما يعني عدم قدرته على ممارسة اعمال حرة بشكل رسمي حيث ان الكثير يمارسونها بشكل غير معلن، ومن هنا فان الاقتصاد العراقي الداخلي يتحرك وفقاً لحجم الانفاق لموظفي الدولة شهرياً، الامر الذي يؤثر بشكل نسبي على سعر صرف الدولار في الأسواق المحلية. وبالتالي فان أي مساس بالأجور الثابتة للموظفين كفيل بأحداث هزة اقتصادية شبيهة بما مر به العراق بعد فرض الحصار الاقتصادي عليه في مطلع تسعينيات القرن الماضي عندما فقدت العملة العراقية قيمتها وباتت الشريحة الأكثر تضرراً جراء ذلك هم الموظفون التي أصبحت رواتبهم لا تسد رمق عيشهم حتى نهاية الشهر. وقد يقول قائل ان الوضع العراقي اليوم افضل بكثير، اذ لا حصار يعاني منه العراق وسقف انتاجه من النفط تضاعف بشكل كبير، وعلاقته بمحيطه الدولي جيدة فلا داعي للخوف من وجود ازمة اقتصادية، ولو سلمنا بصحة هذه الفرضية فأننا بالمقابل نقول ان العراق لا يملك أي سياسة تجارية ولا يصدر للخارج غير النفط ولا يملك أي احتياطي مالي كبير فضلا عن اختفاء الفروقات المالية للموازنات العامة للسنوات الخمسة عشر الأخيرة التي تعدت الـ ١٠٠ مليار دولار والتي لو كانت حاضرة ضمن احتياطي البنك المركزي العراقي لكان العراق قد عبر ازمة كورونا بشكل سلس خاصة ان الموازنة التشغيلية للبلاد والتي تتلخص برواتب الموظفين والمتقاعدين والمستفيدين من شبكة الحماية الاجتماعية لا تتعدى ٦ مليارات دولار شهريا (قرابة ٧ ترليون دينار عراقي)، الا ان حجم الفساد والهدر بالمال العام وانفاق ملايين الدولارات على مشاريع ثانوية وأخرى لم تكتمل ناهيك عن الأموال التي هربها متنفذون الى الخارج أسهمت في خواء الاحتياطي الاستراتيجي العراقي وبقائه معتمدا بشكل كامل على واردات النفط الشهرية في وقت ظهرت فيه الطبقية في المجتمع بشكل واسع فلم تعد هناك طبقة وسطى عريضة في المجتمع بل واحدة ساحقة وثانية مسحوقة ماليا، حيث اذا استمرت ازمة كورونا بالضغط على أسعار النفط العالمي فإنها ستجعل من ٤ ملايين موظف حاليا ضمن الطبقة المسحوقة ماليا.

ولعل ما يصعد من المخاوف تجاه تبعات كورونا الاقتصادية على العالم اجمع هو تصريح الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريس الذي أشار الى ان جائحة كورونا (كوفيد-١٩) هي اسوء ازمة تواجه العالم منذ الحرب العالمية الثانية مبين خشيته من تأثير ذلك في تأجيج الحروب والصراعات حول العالم، وفي بلد مثل العراق الذي يعيش اكثر من ٢٠٪ من سكانه تحت خط الفقر فانه سيكون بالتأكيد من اكثر البلدان تضررا من اثار كورونا الاقتصادية بالأخص مع هشاشة جبهته الداخلية واستمرار الخلافات بين قادة البلاد واستشراء الفساد في شتى مجالات الحياة.

وبحسب الجهاز المركزي للإحصاء التابع لوزارة التخطيط العراقية، فإن استيراد العراق من السلع الغذائية والمحاصيل الزراعية يبلغ ١٢,٤ مليار دولار سنوياً من إجمالي الاستيراد الذي يتجاوز ٤٠ مليار، اي ان العراق الذي لا ينتج محليا ما يمكن ان يسد احتياجاته الغذائية، سيكون مضطرا لمواجهة تحدي جديد يتمثل بتوفير الاموال

بالعملة الصعبة لاستيراد المواد الغذائية الاساسية للشعب العراقي خصوصا وان السياسة الحكومية في العراق لم تدعم القطاع الخاص او الاستثمار بشكل فعلي ولم تقدم للمصانع والمعامل المحلية أي تسهيلات مالية او قانونية لضمان منافستها للمنتج المستورد ما حدى بالكثير من اصحاب هذه المعامل الى اقفالها والتحول الى تجارة المواد الغذائية بدل تصنيعها وتعليبها في الداخل العراقي والحفاظ على المال العراقي من التحول الى خارج الحدود، هذا اذا استمرت الازمة الاقتصادية فقد يدفع ببعض التجار الى احتكار السلع والبضائع والمواد الغذائية بهدف رفع اسعارها فيما بعد وهو امر وارد الحدوث خاصة مع وجود سوابق في هذا المضمار لا سيما وان الاقتصاد العراقي لا يزال هشاً امام الصدمات المالية ولم يتعافى بعد من مشاكل مالية ومديونية خارجية كبيرة واقتراض مزدوج من الداخل والخارج وبالتالي فان العراق في اسوء الحالات قد يتعرض الى مشكلتين مركبتين في آن واحد: الاولى هي انهيار اسعار النفط التي تمثل عصب الاقتصاد العراقي والثانية استمرار تداعيات ازمة كورونا على العالم اقتصاديا وبالتالي فان جميع الآمال معلقة بشكل كبير على تدخل الاقدار في رفع سعر برميل النفط العراقي في الاسواق العالمية لا سيما وان انتاج العراق حتى شهر مارس ٢٠٢٠ لا يتعدى ٣ ملايين برميل وبسعر تقريبي يساوي ٢٠ دولار للبرميل الواحد أي ان موازنة العراق الكلية شهرياً لا تتعدى ٣ مليارات دولار وهي تساوي نصف ما يحتاج العراق لتأمين رواتب الموظفين، وخلاصة القول ان كورونا بحق بات فيروس الجوع والموت الاقتصادي.

تأثير فيروس كوفيد-١٩ على الاقتصاد العالمي والعراقي

علي حسين زينل الشبكي

تأثير فيروس كوفيد-١٩ على الاقتصاد العالمي

منذ تفشـــيه لا يزال فيروس كورونا يعيث في الاقتصـــاد العالمي دمارًا حتى أصابه بالشـــلل، فقد عرقل الإنتاج والإمداد والنقل الجوي عبر العالم، وأضعف الطلب العالمي، وعزل دولًا ووضعها تحت الحجر الصحي، وأخرى تحت حظر التجول، وأصاب قطاعات المالية والطيران والنقل والسياحة بخسائر فادحة.

وإنّ الدول المتضـــررة بدرجة كبيرة من فيروس كورونا كالصـــين وإيطاليا سوف تتأثر اقتصـــاداتها بشـــكل كبير وستســـجل تراجعًا في النمو المحلي وانكماشًا إقتصـــاديًا وتراجعًا كبيرًا في صادراتها. فالصـــين مثلًا تراجعت صادراتها بأكثر من ١٧٪ وهذا يعتبر كارثة بالنسبة للدول التي تستورد من الصين. وهنالك تراجع في الصـناعات الحيوية كالسيارات وقطع غيارها والمواد التكنولوجية. توقفت بعض المصانع لشركات تكنولوجية كبرى مثل أبل وهواوي إضافةً الى شركات الســـيارات مثل تويوتا ونيســـان وشركات سيارات اخرى عن العمل في الصـــين. وبالتالي، فإنّ الأثر الاقتصادي كبيرٌ وكارثيٌ وفقًا للنظريات والنسب التحليلية الاقتصادية. أما في إيطاليا، فالوضع الاقتصـــادي لا يختلف عن الصـــين حتى وصل الحال في إيطاليا الى إعلان الدولة كاملةً كمنطقة مهددة بالإصابة بفيروس كورونا، فنتج عنه تراجعًا كبيرًا في الاقتصـــاد المحلي والصـــادرات والتجارة الدولية مع باقي الدول. وهنالك إغلاق للمراكز التجارية وتعليق للفعاليات الاقتصـادية الكبرى، بالإضافة إلى توجيه الكثير من الشـركات لموظفيها بالعمل من منازلهم. وستبقى الأوضاع الاقتصـــادية لهذه البلدان تشـــهد أزمات كبيرة إلى أن تضـــع هذه البلدان استراتيجيات للتعامل مع الازمة.

وبطبيعة الحال فإنّ فيروس كورونا سيعيد رسم خارطة الاقتصـــــــــاد العالمي خلال الفترة القادمة، لأنّ معظم الشـركات العالمية العملاقة تنتج من الصـين وتتمركز في الولايات الصـينية وتصـدر منتجاتها من هناك. ولو تم ملاحظة أمر مهم وهو أنّ أغلب الفيروسات خرجت من الصين وبداية الأزمة الراهنة كانت منها. وهذا الأمر ربما يدعو الشركات ومصانع الانتاج العالمية المتواجدة في الصـين إلى التفكير في تغيير استراتيجياتها خلال السـنوات القادمة والبحث عن بلدان أخرى يمكن أن تعوّضها عن اليد العاملة والمواد الأولية الصينية.

قنوات التأثير

هناك عدة قنوات يؤثر من خلالها فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي، وهي:

١- **التبادل التجاري:** أثّر فيروس كوفيد-١٩ على التبادل التجاري بين دول العالم وفي داخل الدول نفسـها حيث تم إلغاء المئات من الشـحنات التجارية المصـدرة من الصـين إلى مختلف دول العالم بعد تفشـي الفيروس كما توقفت حركة السـفن كليًا في الخليج العربي ومحيط الهادئ والبحر الأحمر بسـبب مخاوف إنتقال الفيروس بين البلدان. كما شهدت عدة دول عربية من ضمنها العراق والأردن والسـعودية، وإيران توقف حركة النقل والتجارة داخلية لأكثر من شهر بســـبب تفشـــي فيروس كوفيد- ١٩ ومخاوف من انتشـــاره بين المحافظات والمدن.

٢- **الترابط المالي:** وقد طال تأثيره المادي والمعنوي أسواق المال العالمية التي شهدت انهيارات وأسوأ أداء منذ

الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨، وبهذا تعطي أسواق المال مؤشراً سلبيًا للمستثمرين بسبب تأثير الفيروس على الاقتصاد العالمي.

٣- **السياحة والنقل:** إذ خفضّ معدل الرحلات وأغلق العديد من المطارات حول العالم، فهو يؤثر على العرض والطلب العالميين. إنّ القطاع النقل الجوي هي الأكثر تضررًا بأزمة كوفيد- ١٩ مع الإنخفاض الكبير في معدلات الرحلات حول العالم وبقاء الطائرات على الأرض وإغلاق العديد من المطارات للحد من انتقال الفيروس بين الدول وعبر العالم. وانخفضت معدلات الرحلات مع المناطق الموبوءة، كالصين وإيطاليا وإيران ومصر وغيرهم، وتم حظر الطيران بين أمريكا وأوروبا، وإغلاق بعض المطارات في الشرق الأوسط. فانخفض معدل الرحلات من الصين إلى العالم بنسبة ٥٦٪، وانخفض ركاب الطيران الصيني بنسبة ٨٥٪ في فبراير المنصرم عن نظيره من العام الماضي، وألغت شركة الطيران الكورية ٨٠٪ من رحلاتها الدولية، وتقول لو استمر ذلك لفترة طويلة فسيهدد وجودها. وفي الشرق الأوسط، ذكر إتحاد النقل الجوي العالمي أنّ شركات الطيران ستواجه أزمة سيولة بسبب الإحجام عن الطيران والسفر، ودعا الحكومات للتدخل من أجل المساعدة. ومع تقلص حركة الطيران حول العالم، تشير التوقعات الأولية إلى إفلاس بعض الشركات وتخطي خسائر شركات الطيران العالمية مبلغ ١٠٠ مليار دولار، مع انخفاض القيم السوقية لصناعة الطيران، إذ فقدت شركة بوينج على سبيل المثال، ٢٠٪ من قيمتها. وقد طلب العديد من شركات الطيران مساعدات، على شكل قروض وضمانات وإعفاءات ضريبية.

اما على مستوى الاقتصاد المحلي للدول فيوثر الفيروس على ثلاث قنوات

١- اعاقة النشاط الاقتصادي: وذلك عبر إعاقة الانتاج والخدمات والمواصلات والنقل والسياحة والتسوق وإضعاف العرض والطلب. وهناك مدن وضعت تحت حظر التجول وتحولت الى مدن اشباح كما شهدنا في ايطاليا والصين وأخذت في الازدياد حول العالم.

٢- تكاليف التصدي والاحتواء: من إنقاذ ودعم وإجراءات إحترازية لقطاع الصحة والقطاعات الإقتصادية والإجتماعية بتكاليف باهظة وآخذة في الارتفاع.

ركود عالمي

يبدو أنّ الاقتصاد العالمي مقبل لا محالة على تراجع إن لم يكن انكماشًا حادًا. والتوقعات الأولية تشير إلى انخفاض النمو بحدود ٠،٥-٠،٩٪ إلى ١،٥٪ هذا العام، وقد يصل إلى أدنى مستوى له منذ الأزمة المالية العالمية في عام ٢٠٠٩، بحسب منظمة التعاون الأوربي. وقد يشهد العالم أسوأ أزمة اقتصادية منذ الكساد العظيم في ثلاثينات القرن الماضي. ولكن هذه الاحتمالات ستعتمد على مدى الانتشار الزماني والمكاني للفيروس، وعمق الأزمة التي سيتسبب فيها، ومتى تضع الحرب معه أوزارها، التي ربما تمتد لعدة أشهر، حتى نهاية العام أو إلى أن تتوافر اللقاحات المطلوبة للوباء. وربما ينحسر الوباء قبل ذلك، ولكن كلما طال أمد الصراع معه أدى ذلك إلى ارتفاع حالات الإفلاس بين الشركات والبطالة بين المجتمعات، وستكون الفئات الأضعف وذوو الدخل الأقل هم الأكثر عرضة، وسيكون لذلك تبعات اجتماعية كبيرة، وضغوطات هائلة على الحكومات لتعزيز الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، من خلال برامج الإنقاذ والدعوم المختلفة وخفض الضرائب، وهي حكومات ستكون مداخيلها وتمويلها متأثرةً أساسًا بسبب شلل الاقتصاد المحلي والعالمي. وسيشكل كورونا مع انهيار أسعار النفط بسبب حرب الأسعار السعودية أثرًا سلبيًا مزدوجًا على دول الشرق الأوسط، وسيشكلان تحديات كبيرة للدول التي تعاني من هشاشة أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية أساسًا، ولم تستفد من تجربة الربيع العربي بالمضي قدمًا بإصلاحات مقنعة، كالعراق ولبنان و الجزائر ومصر.

كما كان من المتوقع أن يرتفع معدل نمو الإقتصاد العالمي، المقدر بنحو ٢،٩٪ في عام ٢٠١٩، إلى ٣،٣٪ في عام ٢٠٢٠ ثم يرتفع بدرجة طفيفة إلى ٣،٤٪ في عام ٢٠٢١. ولكن بعد انتشار فيروس كورونا خفّض صندوق النقد الدولي توقعاته لنمو الإقتصاد العالمي لعام ٢٠٢٠ بحوالي ٠،٤٪ على الأقل. بمعنى أن ينمو الإقتصاد العالمي فقط بنسبة ٠،٥٪ عن العام السابق، مما يؤدي إلى خسائر تُقدر بنحو ٢ تريليون دولار على الإقتصاد العالمي، ولكن هذه الأرقام قابلة للإرتفاع في حال استمر الفيروس لفترة أطول مما هو متوقع. وذلك في ظل التراجع الحاد في الطلب الكلي والإستهلاك والانفاق العام، وعائدات السياحة، وسلاسل التوريدات، وقِطاع التصنيع العالمي والخدمات، وحركة التِّجارة الدولية، وتراجع أسعار النفط، وتدفقات الإستثمارات الاجنبية.

من الصّعب الآن التّنبّؤ مدى تأثير فيروس كورونا على الإقتصاد العالميّ، لأنّ آثاره ستكون بعيدة المدى، ويبقى ذلك رهنًا بتطوّرات جهود منع انتشاره. لذلك يجب على الدّول أن تتفق في هذه المرحلة، وتتّخذ إجراءات وتدابير حاسمة على صعيد السّياسة الماليّة والنّقديّة، بالإضافة إلى الدّعم الماليّ للحدّ من مضاعفات فيروس كورونا على الإقتصاد العالميّ، وذلك من أجل تفادي وقوع إنهيار قد يُحدث أضرارًا أكبر من تلك المتوقّعة.

*كيف استطاعت الصين أن تستغل أزمة تفشي فايروس كوفيد ١٩ لصالحها:

على الرغم من تفشي فيروس كوفيد-١٩ في الصين وإصابة ما يقارب ٨٠ ألف شخص ووفاة ٣٠٠٠ شخص، استطاعت الصين أن تحتوي الأزمة وتحولها لصالحها وتستعيد نهوض اقتصادها.

قامت الصين منذا إعلان تفشي فيروس كوفيد-١٩ بشراء المئات من الشركة الكبرى والصغرى وبأقل من قيمتها بعد أن كان المستثمرون الأجانب يمتلكون مايقارب ٤٨٪ من الشركات الصينية وبعد قيام الصين بشراء الشركات أصبحت الصين الآن تمتلك كل الشركات العاملة فى مختلف المجالات فى الصين واستطاعت الصين كسب أكثر من ٢٠ مليار دولار امريكي من شراء الشركات الاجنبية .

ومن جهة أخرى قامت الصين بعد سيطرتها على كوفيد-١٩ ببيع نحو ٤ مليارات قناع في شهر واحد لدول تتصدى لفيروس كوفيد ١٩ وبحسب تصريح لدائرة الجمارك الصينية، صدّرت الصين مستلزمات طبية لأكثر من ٥٠ بلدًا حيث بلغ صادراتها حوالي ١،٣٣ مليار يورو.

* تأثير كوفيد-١٩ على الإقتصاد العراقي

أثّر فيروس كورونا على الإقتصاد العراقي من خلال ثلاث نقاط تتمثل بانخفاض أسعار النفط الدولية وانخفاض الطلب الصيني على النفط العراقي وشل النشاط الاقتصادي

ألقت أزمة كوفيد-١٩ بظلالها الثقيلة على الإقتصاد العراقي وحياة الفقراء.

بالطبع في العراق الذي تتجاوز فيه نسبة الفقر العشرين في المئة، تبدو آثار فيروس كورونا الاقتصادية بشكل واضح مع استمرار حظر التجوّل. بدأت تأثيرات فيروس "كورونا" تُلقي بظلالها الفعلية على الاقتصاد العراقي، مما أجبر "العراق" على إتخاذ تدابير لوقف الخطوط التجارية وإغلاق المنافذ التجارية، وايقاف حركة التبادل التجاري بين "العراق" وجارتيه، "إيران" "والكويت".

العراق من أكثر الدول تأثرًا بهذا الإرباك الاقتصادي العالمي، فهو ثاني أكبر مصدر للنفط الخام إلى الصين، بمبلغ ٢٢ مليار دولار سنويًا، وقد انخفض هذا المبلغ بسبب تأثير فيروس كورونا.

كما أدى تأثير هذا الفيروس إلى خفض أسعار النفط، وكذلك انخفضت السياحة الدينية في البلاد، وأدى إلى إرباك الأسواق المحلية ومؤسسات الدولة، وارتفع العجز المالي

انخفاض أسعار النفط الدولية

من المعروف أنّ الإقتصاد العراقي يعتمد على النفط جداً، ماليًا واقتصاديًا وتجاريًا، حيث تشكل الإيرادات النفطية نسبة ٩٠٪ من الإيرادات العامة، ويشكل القطاع النفطي أكثر من ٤٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وأكثر من ٩٩٪ من الصادرات السلعية.

فانخفاض أسعار النفط الدولية كنتيجة لانخفاض الطلب العالمي على النفط بسبب فيروس كورونا الذي أصاب الصين، صاحبة ثاني أكبر اقتصاد في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، والذي انتقل لأكثر من ١٠٠ دولة، أدى إلى انخفاض الإيرادات المالية ثم تفاقم موازنة ٢٠٢٠ التي تعاني بالأساس من عجز يُقارب ٥٠ تريليون دينار.

إنخفضت أسعار خام برنت في الأسابيع الماضية إلى ٢٦ دولار للبرميل الواحد أما الآن فانخفضت أكثر لتصل إلى ١٦ دولار للبرميل الواحد وهو المستوى الأدنى منذ عام ٢٠٠٣، في أعقاب تضرر الطلب العالمي على النفط بسبب تفشي فيروس كورونا المستجد، وحرب الأسعار بين المنتجين الرئيسيين السعودية وروسيا.

سيواجه العراق الذي تشكل عائدات النفط أكثر من ٩٠ في المئة من إيراداته "ضغوطًا اقتصاديةً هائلةً". والعراق ثاني أكبر منتج للنفط في منظمة "أوبك"، ويصدر عادة حوالي ٣،٥ مليون برميل يوميًا.

ويعد العراق من أكثر الدول تأثرًا بهذا الإرباك الاقتصادي العالمي، فهو ثاني أكبر مصدر للنفط الخام إلى الصين، بمبلغ ٢٢ مليار دولار سنويًا، وقد انخفض هذا المبلغ بسبب تأثير فيروس كورونا.

كما أنّ انخفاض الطلب الصيني على النفط العراقي أدى الى تدهور الإيرادات المالية بشكل خاص وانحسار الإقتصاد العراقي بشكل عام.

اعتمد العراق في مسودة ميزانيته للعام ٢٠٢٠ على سعر متوقع قدره ٥٦ دولارًا للبرميل. ومع انخفاض الأسعار، سينخفض صافي دخل العراق بنسبة ٦٥ في المئة في العام ٢٠٢٠، مقارنة بالعام السابق، مسببًا عجزًا شهريًا قدره ٤ مليارات دولار مخصصة فقط لدفع الرواتب والحفاظ على استمرارية عمل الحكومة. مما سيؤدي الى انهيار كبير في الاقتصاد العراقي وسيجبر العراق على الاعتماد على الاحتياط من العملة الصعبة البالغة مقدارها ٦٤ مليار دولار ستكون كافية لدفع رواتب الموظفين.

تأثير فيروس كوفيد-١٩ على التجارة في العراق

بعد توقف الملاحة في الخليج العربي وتوقف استقبال السفن في الموانئ العراقي وإغلاق الحدود البرية بين العراق والدول المجاورة له شهدت الأسواق العراقية نقص في العديد من المواد الاستهلاكية كما سببت الإجراءات

الإحترازية للحد من انتشار فيروس كوفيد-١٩ تلف العديد من المنتجات المستوردة في مستودعات الموانئ في محافظة بصرة كما تقدر الخسائر العراقية بما يقارب ٤,٦ مليار دينار عراقي يومياً بسبب توقف التجارة بين العراق والأردن والعراق وإيران.

تأثير فيروس كوفيد-١٩ على القطاع السياحي في العراق

ينقسم السياحة في العراق الى قسمين

القسم الأول السياحة الدينية: تشكل السياحة الدينية نسبة ٧٥٪ من إيرادات السياحة في العراق حيث تشكل السياحة الدينية في عدة محافظات عراقية واهمها كربلاء والنجف والسامراء وبغداد والحلة حيث بلغ مقدار الإيرادات في عام ٢٠١٧ نحو خمسة مليارات دولار بحسب المجلس العالمي للسياحة والسفر.

بعد أن تعرّض قطاع السياحة الدينية الحيوي في العراق لأضرار كبيرة إثر موجة الاحتجاجات والاضطرابات السياسية، فضلًا عن العقوبات الإقتصادية المفروضة على إيران، يأتي فيروس كورونا ليقضي عليه تمامًا. أغلقت الفنادق في مدينة كربلاء أبوابها وأصبحت الكمامات أكثر شيوعًا في الشارع من الثوب الأسود الطويل الذي ترتديه الزائرات. وباتت اعداد الزائرين قليلةً عند ضريح الإمام الحسين سبط النبي محمد رغم زيارات المسؤولين الصحيين مرتين يوميًا للموقع بهدف التعقيم.

وفي الأيام "العادية"، تخلق حركة الزيارة الدينية فرص عمل لمئات آلاف العراقيين مع مليارات الدولارات سنويًا، كونها المصدر الوحيد للسياحة في بلد مزقته عقود من الحروب. لكن في العراق حالياً ست حالات مؤكدة بالإصابة بالفيروس مصدرها إيران في حين تتراجع أعداد الزائرين أكثر. وكانت أول حالة مؤكدة بالإصابة لمواطن إيراني يدرس في حوزة في النجف حيث ضريح الامام علي ابن ابي طالب، أبرز العتبات المقدسة لدى الشيعة على بعد نحو ١٥٠ كلم جنوب بغداد.

وردت السلطات بإغلاق الحدود البرية مع إيران وحظر دخول الرعايا الأجانب المسافرين من الجمهورية الإسلامية والبلدان المتضررة الأخرى. واتخذت السلطات خطوة نادرة بشكل استثنائي وهي إغلاق ضريح الإمام علي أمام الزوار هذا الاسبوع. وعادة ما يشهد المكان تدافعًا للتبرّك من قبر صهر النبي محمد. أما الفنادق التي ما زالت "تعمل فلا تتجاوز نسبة الإشغال فيها ٥ إلى ١٠ بالمئة".

وإنّ فيروس كورونا المستجد هو آخر كارثة تضرب السياحة الدينية في المدن العراقية المقدسة لدى الشيعة. وأجبرت العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على طهران والهجمات المتبادلة بينهما على الاراضي العراقية، الزوار الايرانيين على البقاء في منازلهم.

تضرر السكان

كما تسببت تلك الإجراءات بخسائر كبيرة للسياحة الدينية بالعراق، وإن "الأوبئة والأمراض تؤثر بشكل كبير على القطاعات الإقتصادية، وأكثر قطاع يتأثر هو قطاع السياحة، لكن العراق لا يمتلك غير الدينية، لذلك تأثرت بشكل كبير". وأن تأثيرها سيكون على الأفراد أكثر من تأثيره على الدولة، لأنها غير مستفيدة كثيرًا من السياحة الدينية، لكن المستفيد هم الأفراد، لأنّ الفنادق والمطاعم والمتاجر تعتمد في مبيعاتها على السائحين، وبذلك تؤدي إلى توقف هذه المشاريع إضافةً إلى البطالة، وتآكل رأس المال.

عواقبها كبيرة جدًا على المواطن نفسه، وخاصةً أن المدن الدينية هي تجارية أكثر من كونها مراكز صناعية، مثل: كربلاء والنجف وسامراء.

وبخصوص الإحصاءات للخسائر الناجمة عن توقف قطاع السياحة الدينية، ان الأرقام التقريبية تفيد بأن أكثر من ٢٠ بالمئة من سكان المدن الدينية يعتمدون باقتصادهم على السياحة الدينية سواء كانت الداخلية أو الخارجية".

خسائر بالمليارات

وفي خطوة نادرة، أغلقت السلطات العراقية، مرقد "الإمام علي" المقدس لدى الشيعة، بعدما أعلنت تسجيل أول إصابة بفيروس كورونا المستجد "كوفيد-١٩" لطالب إيراني يبلغ من العمر ٢٢ عامًا في مدينة النجف.

وكما إنه تم إغلاق ٣٠٠ من أصل ٣٥٠ فندقًا في المدينة. فعلى سبيل المثال، انّ عدد الزوار الإيرانيين سابقًا كان يتجاوز ٤٠٠٠ شخص في اليوم، لكن الآن لا يوجد أي زائر هنا وجميع الفنادق فارغة ومخيفة.

القسم الثاني السياحة الترفيهية والمواقع الاثرية تشكل نسبة ٢٥٪ من ايرادات السياحة وتحتل محافظات اربيل والسليمانية ودهوك وبغداد اهمها.

ألقت أزمة فيروس كورونا المستجد بضلالها على الحركة الإقتصادية في إقليم كردستان وتوقفت السياحة في أشهر وصفت بأنّها ذروة انتعاش السياحة في الإقليم بعد فرض حكومة إقليم كردستان منتصف شهر شباط/ فبراير الماضي مجموعة من الاجراءات ومن بينها إغلاق المطاعم والمقاهي والمصايف وغيرها من الأماكن السياحية أصابت حركة السياحة بالشلل التام.

ومن جانب آخر قامت مجموعة من القطاعات والشركات والفنادق بتسريح عمالها بسبب توقف نشاطها مما سبب مشكلةً اخرى وهي مجموعة من العاطلين عن العمل.

وكما تشير التقارير إلى أنّ إقليم كردستان قدّر خسائره من القطاع السياحي بمليارات الدنانير.

بعد انتشار فيروس كوفيد-١٩ الذي أدى الى توقف حركة النقل الجوية والبرية وإغلاق المطارات والحدود توقفت السياحة بشكل كامل مما أثّر ذلك على الإقتصاد العراقي حيث توقفت العشرات من الشركات السياحية في القطاع الخاص عن العمل وبالتالي أدى الى توقف اكثر من ١٣ ألف موظف وعامل عن العمل مما سبب لهم ولعوائلهم عجزًا ماليًا كبيرًا في ضل الظروف الصعبة التي يمر بها العراق من مشاكل إقتصادية وتدهور أسعار النفط.

تأثير فيروس كوفيد-١٩ على الزراعة والأمن الغذائي في العراق

يمكن أن يهدد استمرار تفشي فيروس كورونا في العالم الأمن الغذائي العراقي نتيجة اعتماد البلاد على الاستيراد بشكل شبه كلي، ويشمل ذلك استيراد المواد الإستهلاكية الرئيسية، بحسب تحذير خبراء اقتصاديين عراقيين، خاصةً مع إغلاق أغلب الدول حدودها خوفًا من كورونا.

ووفقًا للجهاز المركزي للإحصاء، فإنّ استيراد العراق للسلع الغذائية والمحاصيل الزراعية يبلغ ١٢,٤ مليار دولار سنويًا من إجمالي الإستيراد الذي يتجاوز ٤٠ مليار دولار أميركي.

كيف أثر فيروس كورونا على اقتصاد مناطق شمال وشرق سوريا؟

مع تصاعد وتيرة الإصابات بفيروس كورونا المستجد في مختلف الدول، واقترابها من أربعة ونصف مليون مريض، يقبع الإقتصاد العالمي تحت ضغط هائل، أدى إلى فقدان الكثيرين لوظائفهم، ودفع الحكومات للعمل على توفير حزم اقتصادية لمساعدة أصحاب الأعمال.

وتزيد الخسائر الاقتصادية بفعل فيروس كورونا يومًا بعد يوم بسبب عمليات الإغلاق التي فرضها في الدول الكبرى، وكذلك مناطق شمال وشرق سوريا التي توقفت فيها جميع الأعمال، وتعطلت الموارد الاقتصادية، وأغلقت المعابر وتوقفت المساعدات عبر الحدود، ويعاني المواطنون من البطالة والفقر.

يقول "سلمان بارودو" مسؤول هيئة الإقتصاد في شمال شرق سوريا: "يختلف وضعنا الإقتصادي كثيرًا عن باقي الدول، فيحاول أبناء مناطق شمال شرق سوريا بناء أنفسهم من جديد في هذه المنطقة الصغيرة، سواء بناءً سياسيًا أو عسكريًا في منطقة استطاعت طرد جميع عناصر داعش منها ووسط سوريا التي تشهد حربًا منذ سنوات، لذا فنحن الآن في مواجهة هذه الأزمة، هناك ضعف إمكانيات اقتصادية لدينا بعد أن كنا نعيش حالة حرب وأزمة اقتصادية في مواجهة أقوى قوة إرهابية".

ويضيف "بارودو" بأنه لا بد من الاعتراف بأن هذا الفيروس سيعيد تشكيل منظومة وسياسات جديدة وتكتلات اقتصادية جديدة على العالم أجمع وعليهم أيضًا، لذلك "لابد من العمل سويًا لإيجاد آلية مناسبة لتعزيز الاستقرار الاقتصادي، وذلك من خلال برامج الإنقاذ في كافة المجالات والقطاعات المختلفة".

خسائر المعابر "معبر سيمالكا ديريك\ المالكية"

يوضح "شيرزاد عثمان" المسؤول الإداري في معبر سيمالكا\ فيشخابور (وهو معبر غير رسمي بين إقليم كردستان العراق وشمال شرق سوريا يتم فيه نقل مواد غذائية وينتقل الناس عبره)، أنّ حركة المعبر تأثرت بأزمة كورونا، حيث كانت أولى الإجراءات الاحترازية من انتشار الفيروس هو إغلاق المعبر، ولأن معبر سيمالكا هو الشريان الحيوي لشمال وشرق سوريا، بعد توقف الحركة التجارية لعدة أيام، صدر قرار من الإدارة الذاتية باستئناف الحركة التجارية من جديد.

وقال "عثمان" إنّ العبور البشري توقف بشكل كامل، ولا يعتبر تأثيره قويًا على الاقتصاد كون رسوم الدخول والخروج إلى المنطقة عبر المعبر هي مبالغ رمزية لا تعتبر موردًا ماليًا للمنطقة.

وبذلك أوضح عثمان أنّ الحركة التجارية مستمرةٌ ولم تتأثر بأزمة كورونا، وأنّ دخول البضائع من المواد الغذائية مستمر حتى اللحظة.

معابر منبج

تعتبر مدينة منبج آخر نقاط سيطرة الإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا، وهي مدينة يتنافس على الدخول إليها الحكومة والمعارضة السورية، حيث تتواجد في منبج ثلاثة معابر تستخدم في الحركة التجارية ومرور الأهالي بين المناطق المختلفة، وهي معبر عون الدادات لمرور الأهالي وفي بعض الأوقات البضائع، ومعبر أم جلود التجاري (وهما معبران يفصلان بين مناطق الإدارة في منبج ومناطق درع الفرات "المعارضة السورية" شمال المدينة)، في حين أنّ معبر التايهة يستخدم لحركة الأهالي والبضائع ويفصل بين مناطق الحكومة السورية ومناطق الإدارة المدنية في منبج.

يقول مسؤول بالرئاسة المشتركة للجنة الإقتصادية إنّ معابر منبج ركيزة أساسية فى الحركة الاقتصادية في المدينة حيث حركة نقل البضائع عبرها كانت تجري في خلال الفترات السابقة، بعد التنسيق بين الأطراف التي تدير هذه النقاط من كلا الجانبين (الإدارة المدنية من ناحية منبج والطرف الآخر سواء مناطق درع الفرات أو الحكومة السورية من الطرف الأخر)، وهذه الحالة تعرضت للكثير من التغيرات خلال الفترة الأخيرة بسبب انتشار فيروس كورونا في العالم، شلّ الاقتصاد في مدينة منبج بشكل شبه كامل، بسبب توقف الحركة التجارية ضمن المدينة خلال الحظر الصحي المطبق منذ ٢٠٢٠/٠٣/٢٣ ولغاية اليوم.

ويضيف أنّه خلال الحظر الصحي، تم فتح المعابر التجارية فقط لعدد محدد من السلع والبضائع، التي تركزت على المواد الغذائية والطبية وحليب الأطفال، أما في ما يخص السلع الباقية، فقد توقف استيرادها من قبل التجار بسبب الحظر، وكان للجنة الاقتصاد دور فعال في عمليات التنسيق مع الجهات المعنية والمختلفة على إمداد المدينة عبر المعابر المحيطة بها بهذه المواد خلال الحظر الصحي، والتأكد من سلامة المواد الداخلة عبر هذه المعابر بالتعاون مع لجنة الصحة في المدينة، وكل ذلك تم عبر اللجنة الرباعية المشكلة خلال شهر اذار / مارس من العام الحالي.

قرارات اقتصادية لحماية تجار منبج فى مواجهة كورونا

من أجل حماية الإقتصاد الداخلي في المدينة، أوقفت لجنة الإقتصادية عملية تحصيل الضرائب من التجار وأصحاب المهن والحرف في المدينة، خلال فترة الحظر الصحي وحتى انتهائه، بسبب الحالة المادية التي عانى منها الجميع في المجتمع خلال هذه الفترة، كما تتابع لجنة الاقتصاد التطورات التي ترتبط بالفيروس على صعيد المنطقة والعالم لمعرفة التفاصيل، وتقديم المساعدات واتخاذ القرارات التي من شأنها أن تساهم في تسهيل حياة الأهالي خلال هذه الازمة.

تراجع سعر الليرة السورية أمام الدولار في زمن كورونا

ويقول "روزان" صاحب محل صرافة في مدينة قامشلو\القامشلي، إنّ الاقتصاد بشمال شرق سوريا تأثر منذ بداية أزمة كورونا، وذلك بارتفاع سعر الدولار، وفرض قرار حظر التجوّل والسبب وراء ذلك شراء التجار وأصحاب محال المواد الغذائية للدولار، لبيعه في السوق السوداء، كما أنّ التجار يشترون المواد الغذائية بالعملة الاجنبية "الدولار"، بالتزامن مع شراء الناس لمواد غذائية لفترة الحظر ولرمضان، ما أدى إلى طلب أكثر على الدولار من قبل التجار.

السبب أيضًا في شراء الدولار من قبل جميع الأهالي، بحسب "روزان" هو أنّه مهما كان المبلغ المخزن في المنزل

من الدولار يكون أقل وزنًا من الليرة السورية (احتساباً لهجوم ما والهروب من مناطقهم).

في أول أيام الحظر، شهد الدولار ارتفاعًا ملحوظًا حيث ارتفع الدولار الواحد إلى ١١٥٠ ليرة سورية، ليصل بعد أول أسبوع في الحظر إلى ١٣٠٠ ليرة سورية ثم وصل إلى ١٣٧٥ ليرة سورية، ثم ١٣٨٥ ليرة سورية وفي بعض المناطق مثل محافظة إدلب إلى ١٤٠٠ ليرة سورية.

ويوضح "روزان" في حديثه أن محال الصرافة معرّضة للخسائر، لأنهم في أغلب الأحيان يبيعون الدولار بسعر، ثم يقومون بشرائه بسعر آخر، ما يؤدي إلى خسائر كبيرة على حد قوله.

ويضيف: "مع بداية شهر أيار، قمنا بفتح المحال، بقرار من الإدارة الذاتية، حيث نبدأ العمل من الساعة ١٠ صباحًا وحتى الساعة ٣ مساءً، لكن رغم ذلك لازالت الأسعار مرتفعة، مما ينعكس سلبًا على الصراف وعلى المواطن أيضًا.

يجب على الدولة السورية أن تقوم بضخ العملة الأجنبية للسوق لينخفض سعره، وضبط الأسعار والأسواق، وإلا سنشاهد في الفترة المقبلة ارتفاع أكبر مما يصل إلى ١٤٠٠ ليرة سورية مقابل الدولار الواحد". من وجهة نظر روزان فإنّ محال الصرافة الصغيرة تقوم بتعويض موظفيها لأن عددهم قليل، "أما بالنسبة إلى شركات الصرافة الأكبر فهي لديها موظفين بعدد أكثر وخسارتهم تكون كبيرة لايستطيعون صرف رواتب لهم في فترة الحظر."

خسائر قطاع النقل بـ "كوباني" بسبب كورونا

تأثر قطاع النقل كغيره من القطاعات بفرض الحظر لمنع انتشار فيروس كورونا، حيث تقول الرئيسة المشتركة لمديرية النقل في إقليم الفرات، إنّ حركة النقل توقفت تمامًا في إقليم الفرات منذ ٢٣ آذار الماضي وحتى ٢٣ نيسان، كما توقفت مكاتب الدور البالغ عددها / ٧ / عن عملها في إقليم الفرات (وهو يضم مناطق مثل كوباني وتخضع لسيطرة الإدارة الذاتية) بسبب كورونا، ونتج عن توقف مكاتب الدور خسارةً تُقدر بحوالى ١٧ مليون ليرة سورية لمديرية النقل خلال شهر واحد على حد تعبيرها، "بدأت حركة النقل وافتتحت مكاتب الدور منذ ٢٣ نيسان لكن الحركة ليست نشيطة كما في السابق."

من جهته، أضاف " دلخاز" مدير إدارة كراج المحطة في مدينة كوباني "إن فرض الحجر الصحي للوقاية من كورونا، أدى لتوقف ٣٥٠ سيارة إجرة مسجلة عن عملها، عدا عن سيارات الأجرة الخصوصية، فمعظم هذه السيارات كانت تعمل على خطوط كوباني (قامشلي- حلب - منبج) وبعضها تابعة لشركات مثل (شركة برادوست إلى إقليم كردستان) و (عمر تورز إلى دمشق ولبنان) و(نوري الإيمان لديها فرع في كوباني)، تعرضت المؤسسة لخسارة تُقدر بـ / ٦٠٠ / ألف ليرة سورية بين الرسوم الشهرية للسيارات وقطع تذاكر السفر".

ويشير "دلخاز" إلى أن الخسارة لم تقتصر على المؤسسة فقط بل طالت ٣٥٠ سائق أيضاً، يتواصلون معهم يوميًا ويشتكون من سوء وضعهم بعد توقفهم عن العمل.

وفي محاولة لحل المعضلة يقول "دلخاز" إنّ إدارة كراج كوباني قامت برفع مقترح إلى الإدارة العامة للبلديات في إقليم الفرات، يتضمن إعفاء السائقين من الرسوم الشهرية المقدرة بـ / ١٠٠٠ / ليرة سورية عن كل سيارة، وتقديم المساعدة الممكنة لهم كتعويض عن الخسارة التي تعرضوا لها، "هناك / ٤/ بولمانات داخلية تابعة للكراج كانت

تعمل بشـــــكل رمزي / ٢٥ / ليرة سورية عن الراكب الواحد، توقفت عن العمل أيضًا، إلا أن سائقوها يتقاضون رواتبهم من الإدارة".

ارتفاع معدل البطالة بمناطق شمال شرق سوريا

"عزيز" سائق سيارة أجرة يقول: "لدي ثمانية أولاد، ولا أملك غير المنزل الذي أسكنه وهذه الســـــيارة التي كنا نعيش من دخلها اليومي، إلا أنها توقفت منذ شهر ونصف الشهر عن العمل للوقاية من كورونا، ما زاد من وضعنا سوءًا"، ويضـــيف "كانت يوميتي تُقدر بـ/ ١٠٠٠٠ / ليرة سورية وكانت تغنينا عن الحاجة، منذ توقفنا عن العمل وبما أننا لم ندخر قرشًا من دخلنا الذي كاد يسد احتياجاتنا، قمت ببيع قطعة ذهب تمتلكها زوجتي لنسد احتياجات أطفالنا في شهر رمضان".

يقف "عزيز" يوميًا لساعات عديدة في ساحة الكراج، بهدف إمضـــاء بعض الوقت في شهر رمضـــان، بدون أن يكسب ليرة واحدة، "كنت أقطع حدود المدينة بسيارتي إلى مناطق منبج وقامشلو\ القامشلي والرقة، أي ضمن حدود الإدارة الذاتية، أيعقل أن تربط رأسمال / ١٠ / مليون بسيارة دون أن تكسب منها لقمة عيش أطفالك".

"اسماعيل" سائق سيارة عمومي يقول: " أنا من سكان تل أبيض، نزحت إلى قامشلو\ القامشلي ومنها إلى الرقة، أعمل على خط كوباني - القامشـــلي، لدي أربعة أطفال، وأعيش في بيت شبه مهدم وهو بالإيجار، وهذه الســيارة أملك نصفها والنصف الآخر لشريك لي".

يتحدث "اسماعيل" أنّه بالرغم من سماح الإدارة الذاتية لكثير من الأعمال بالاستمرار، قامت بوقف عمل سيارة الأجرة العمومية، "هذا يشكل عبئًا فأنا اليوم يتطلب مني دفع ٣٠٠ ألف ليرة سورية كديون متراكمة بسبب توقف العمل، الجوع هو موت بطيء (يقولها بلهجة مخنوقة)".

يشتكي العديد من الأهالي من عدم اهتمام الإدارة الذاتية بالوضع الاقتصادي للأهالي، يقول "اسماعيل": "الإدارة لا تهتم لأمرنا ولا يهمها إن متنا جوعًا، منذ شهرين لم أجنِ ليرة واحدة من عملي كســـــائق، ولا أجيد مهنة أخرى لأكسب منها قوت أولادي، شهريًا كانت حصـــتي من الســيارة تُقدر بـ/ ١٥٠ / ليرة سورية وكانت تسد حاجة أسرتي، كل ما قدمته الإدارة الذاتية لنا هو اعفاءنا من الرسومات الشهرية فقط".

شلل حركة النقل بالرقة يسبب جوع الأهالي

أثرت أزمة وباء كورونا على جميع القطاعات الخاصة والعامة، وتضـــــررت وسائل النقل الداخلي بمدينة الرقة بشـــكل كبير، حيث توقفت جميع وسائل النقل من وإلى مدينة الرقة، منذ بداية اتخاذ الإجراءات الاحترازية فيها، واقتصر العمل على السماح لسيارات الأجرة بالعمل داخل المدينة خلال أوقات فك الحظر الجزئي، فيؤكد رئيس دائرة النقل الداخلي بالرقة أنّ قطاع النقل الداخلي متوقفٌ بشكل كامل في مدينة الرقة، مشـــيرًا إلى أنّ الأهالي هم المتضـــــررون الأكبر من هذه الأزمة نتيجة توقف باصات النقل واعتمادهم على وسائل النقل الخاصة التي تعتبر باهضة الثمن مقارنةً بالنقل الداخلي".

ويضيف أنّ أصحاب وسائقي حافلات السفر تضرروا أيضًا بشكل كبير وخسروا الكثير نتيجة توقف حركة السفر بين المدن.

خسائر الأهالي في منطقة عامودا

"وليد " صاحب محل مأكولات في مدينة عامودا، يتحدث عن خسارة وصلت لأكثر من ٥٠ ألف ليرة سورية في بداية الحجر الصحي.

"خلدون " صاحب محل ملابس يتحدث عن أنّهم تضرروا كثيرًا كأصحاب محال، والبضاعة في محالهم تكدست، الأمر الذي أدى إلى ضرر إقتصادي كبير.

معاناة أهالي منطقة الشدادي

"محمد" من مدينة الشدادي بريف الحسكة، يذكر أنّ الحجر الصحي للوقاية من كورونا، أثر سلبًا على حياتهم اليومية، حيث يقول: "لا يوجد تعويض، وتمديد الحجر مستمر، أنا في المنزل منذ نحو شهرين، لم يتبقى لي شيء من مدخراتي لأصرفه على عائلتي، لقد وعدونا بمساعدات لم تصل حتى الآن".

إنّ التزام الناس في الحجر الصحي بسبب جائحة كورونا، ساهم كثيرًا في عدم انتشار المرض، لكن أصحاب الدخل المحدود ماديًا، وهم غالبية مجتمع شمال شرق سوريا، بدأوا يتضررون إقتصاديًا، وباتت ظروفهم المعيشية صعبة، وهم ينتظرون المساعدات أو دعم مادي من الإدارة الذاتية، في المقابل تسعى المنظمات المحلية والدولية العاملة في شمال شرق سوريا للضغط باتجاه دعم المنطقة لمساعدة الأهالي، لكن هذا متعلق بقرارات سياسية، وقرار من مجلس الأمن يسمح بفتح معبر الوليد المطل من العراق على شمال شرق سوريا، ليستطيع الأهالي استعادة الحياة والعيش بكرامة.

تأثير جائحة كورونا على ثورة تشرين الأول/أكتوبر في العراق

فرمسك عثمان رحيم

المقدمة

نشبت تظاهرات عدة في العراق في السنوات الأخيرة. رفع الناس أصواتهم ضد الحكومة والأحزاب السياسية لكنّ ثورة شهر تشـــرين الأول/ أكتوبر تعدّ الحدث الأبرز في تاريخ التظاهرات منذ سنة ٢٠٠٣. بدأت التظاهرات في شهر تشـــرين الأول/أكتوبر في سنة ٢٠١٩. وشارك فيها آلاف الأشخاص منددين بالنظام الســـياسي الحالي في العراق. وظل عدد المتظاهرين يزداد يوميًا في حين كان المتظاهرون يغيّرون مطالبهم أسبوعيًا. وعلى الرغم من عدد القتلى والجرحى الكبير، ظل الشعب ينزل إلى الشارع إلى أن ظهر فيروس كورونا الذي شلّ الحركة وأجبر الناس على البقاء في منازلهم. ويفسّر هذا المقال تأثير جائحة كورونا على المتظاهرين لفهم كيفية توقّف نشـاطات معظم المتظاهرين مع إستمرار الأقلية بالتظاهر.

ثورة شهر تشرين الأول/ أكتوبر وجائحة كورونا

بعد سقوط نظام صدام حســـين في سنة ٢٠٠٣، شهد العراق فترة من العنف والجمود الســـياسي مع تدخّل أجنبي قوي. بالإضافة إلى الإضطرابات الســـياسية، رَسَم الفســـادُ، والبطالة، والخدمات العامة غير الكافية معالم الحياة العراقية. ودفعت هذه الحياة الصـــعبة بالعراقيين إلى التظاهر دائمًا ورفع أصواتهم ضد الســـلطات. على سبيل المثال، في شـــهر تموز/يوليو ســـنة ٢٠١٥، إجتاحت أعظم تظاهرات في تاريخ العراق الحديث معظم المدن في جنوب العراق بما في ذلك بغداد. وكان السبب وراء هذه التظاهرات في هذه المدن، وبخاصة في البصـرة، تدهور الخدمات العامة، وخاصةً الكهرباء، في خضم أعلى معدلات للرطوبة وللحرارة في فصل الصيف في البصرة.[1]

إستمرت التظاهرات؛ في أحدث التظاهرات في شهر تشـــرين الأول/أكتوبر سنة ٢٠١٩، بدأ الناشطون المدنيون بالتظاهر ضد الفســـاد، والبطالة، والأزمة الإقتصـــادية والفقر. وبدأ المتظاهرون بالمطالبة بالحقوق الأساسية لتحسين سبل كسب المعيشـة، والعمالة، والكهرباء، والنفاذ إلى المياه النظيفة، والخدمات العامة الأخرى. ودفعت الحياة المتردية بالأجيال الصاعدة إلى التظاهر ضد جميع القادة المسؤولين عن الوضع العراقي الحالي.

وتألّفت موجة التظاهرات الأخيرة من سلســـلة من الاحتجاجات. وبحســـب البعض، إتّخذت هذه التظاهرات طابع الثورة في تاريخ العراق المعاصر. وكان رد الفعل الحكومي غير المسؤول والميليشيات المجهولة الســـبب وراء تغيير المتظاهرين للمطالبهم. فهم طالبوا بدايةً بتحســـــين الخدمات العامة، فبالهوية الوطنية، ثم بتغيير النظام السياسي العراقي، وأخيرًا بوضع حد للتدخلات الأجنبية بخاصةٍ التدخلات الإيرانية.

وكان الوضع يزداد سوءًا أسبوعًا تلو الآخر. قتلت بعض الميليشـيات المجهولة مئات الآلاف من الشـباب. وحاول رئيس الوزراء عادل عبد المهدي تهدئة مخاوف المتظاهرين من خلال إصدار بعض القرارات لإجراء إصلاحات في حكومته، لكنّ المتظاهرين رفضـوا ذلك وطالبوه بالإستقالة. ولم تسـتطع المفاوضات والإجتماعات الحكوميّة

(1) Faleh Jabar.The Iraqi Protest Movement: From Identity Politics to Issue Politics, LSE Middle East Centre Paper Series, June 2018.

والسياسيّة إيقاف التظاهرات.

في حين كان العراق يواجه أزمة سياسية، وتظاهرات، وإنهيار عائدات النفط، وتوترات بين الولايات المتحدة وإيران، وفشل الطبقة السياسية في معالجة مخاوف المتظاهرين، كانت بلدان كالصين تخشى تفشي فيروس جديد يدعى "كورونا" قتل إلى حد الآن آلاف الأشخاص في مدينة ووهان. فمنذ بداية شهر كانون الأول/ديسمبر سنة ٢٠١٩، بدأت السلطات الصينية بتسجيل حالات إصابة بالفيروس. وفي فترة قصيرة نسبيًا، ظهرت تقارير مقلقة حول عدد الإصابات والوفيات المؤكدة وانتشر الخبر في جميع أنحاء العالم. وبعد أيام من تسجيل الصين أولى حالات الإصابة، سجّلت دول ومناطق أخرى مثل تايلندا، وإيران، وأوروبا، وبريطانيا حالات إصابة مؤكدة بفيروس كورونا.

وساعد موقع العراق الجغرافي بنشر الفيروس بسرعة وبسهولة. وقلقت سلطات العراق وشعبه من تفشي الوباء في البلد بعد ظهور حالات مؤكدة حرجة في إيران. وفي وسط التظاهرات والأزمة السياسية، أعلنت وزارة الصحة والبيئة العراقية عن أولى حالات إصابة مؤكدة بفيروس كورونا بعد عودة بعض التلاميذ العراقيين من إيران. وبعد هذا الإعلان بقليل، وضعت الحكومة تدابير وقواعد للحجر وفرضت حظر التّجول. إلا أنّ المتظاهرين لم يأخذوا المسألة على محمل الجد. فرفضوا التوقف عن التظاهر والتخلي عن مطالبهم. لكنّ موقف المتظاهرين والناشطيين المدنيين من هذه المسألة تبدّل بعد تسجيل جميع المحافظات العراقية حالات إصابة بفيروس كورونا، في الفترة الممتدة من شهر شباط/ فبراير إلى شهر آذار/مارس سنة ٢٠٢٠.

بحسب منظمة الصحة العالمية، ينتمي هذا الفيروس إلى عائلة فيروسات تسبّب عدة أعراض مثل الإلتهاب الرئوي وغيرها من الإلتهابات التي تصيب الرئة، والحرارة، وصعوبة بالتنفس. وتنتشر هذه الفيروسات بين الحيوانات في جميع أنحاء العالم، لكنّها لا تصيب البشر كثيرًا.[٢] لاحقًا، بدأ العلماء بدراسة الفيروس، وأعلنوا أنّ نسبة انتقال فيروس كوفيد-١٩ وتحوله إلى جائحة أعلى من نسبة سارس-كوف. وأخافت هذه الإعلانات السلطات في العالم فأسرعت إلى اتّخاذ تدابير لاحتواء الفيروس. وأعلنت السلطات العراقية فورًا حظر التّجول في المدن التي سجّلت حالات إصابة بالفيروس. وأعلن مسؤولو الصحة العامة الذين يدرسون كوفيد-١٩ أنّ الفيروس ينتشر بسهولة، وأنّ الطريقة الوحيدة لتجنب الإصابة هي تجنّب التجمعات، والمجموعات الكبيرة، وارتداء الكمامة، واتّباع التّباعد الإجتماعي، أي إبقاء مسافة مترين بين الأشخاص.[٣]

إلا أنّ ما من معطيات علمية كافية لعلاج الفيروس لأنّه جديدٌ.[٤] ساهمت إعلانات منظمة الصحة العالمية حول الفيروس الجديد في فرض السلطات العراقية لحظر التّجول في جميع المدن بالإضافة إلى إعطاء توجيهات إضافية حول التّجمعات. وساهمت هذه الإعلانات في زيادة اهتمام بعض المتظاهرين بسلامة الأشخاص. إلا أنّ معظمهم رفض اتّباع التدابير الحكومية ليعودوا ويبدلوا موقفهم في آواخر شهر شباط/ فبراير. فبدأوا بالشعور بالمسؤولية تجاه سلامة العامة، خصوصًا بعد تسجيل حالات مرتفعة من الوفاة في العالم.

وفي هذا الصدد، تحوّل اهتمام المتظاهرين من المطالبة بالخدمات العامة والهوية الوطنية إلى الإهتمام بالمحافظة على سلامة الأمة. فأخذ المتظاهرون على عاتقهم حماية السكان من هذا الفيروس المعدي. فبدأ الطاقم الطبي

(2) Sasmita Poudel Adhikari et al. “Epidemiology, causes, clinical manifestation and diagnosis, prevention and control of coronavirus disease (COVID-19) during the early outbreak period: a scoping review. Infectious Diseases of Poverty, 2020, available at: https://doi.org/10.1186/s40249-020-00646-x
(3) David Williams. How Coronavirus spreads from one member to 87% of the singers at a Washington choir Practice. News on CNN, May 13, 2020
(4) Said Nadeem. Coronavirus COVID-19: Available Free Literature Provided by Various Companies, Journals and Organizations around the World. Journal of Ongoing Chemical Research, 2020.

المتخصّص الموزّع في الأحياء بتوعية الأشخاص على الفيروس والخطوات الضرورية لاحتوائه. وبدأ لناشطون بتوزيع الكمامات والقفازات وإعطاء التوجيهات للناس.

في الواقع، تتباين الآراء حول تأثير الفيروس على التظاهرات. يعتبر البعض أنّ الفيروس والحجر هما السببان الأساسيان لانخفاض عدد التظاهرات. ويعتقدون أنّ الفيروس قادر على القيام بما عجزت عنه الإصلاحات الحكومية، والخطابات، والاجتماعات ألا وهو وضع حد للتظاهرات. أما البعض الآخر، فيعتقد أنّ أسبابًا متعددةً ساهمت في أفول التظاهرات العراقية مثل خيبة أمل الشعب وتوقيف الناشطين ومعاقبتهم.

في هذا المقال، تم توثيق أقوال أشخاص عدّة حول تأثير الجائحة على نشاطاتهم.

يقول عمر سلمان، متظاهر عاطل عن العمل يبلغ من العمر ٢٩ سنةً:

" كنت أشارك في التظاهرات منذ البداية، لكنني غيّرت رأيي لسببين. أولًا، خيّبت إستجابة الحكومة لمطالبنا آمالي. ثانيًا، فرضت الحكومة حظر تجول ما منعنا من التظاهر."

ويقول منتدهر الزيدي، متظاهر آخر:

" كنت أتظاهر منذ البداية واعتدت البقاء في ساحة التحرير كل الوقت. كان الأشخاص يدعموننا منذ البداية واعتدت طهي الطعام يوميًا للمتظاهرين. ولم يكن الطعام باهظ الثمن. كنت أعدّ حساء الأرز للغداء والعشاء. وكان الأشخاص يساعدوننا بجلب الطعام يوميًا أو أسبوعيًا لكنهّم توقفوا عن ذلك بسبب الجائحة وحظر التجول. لم يعد الناس يساعدوننا كما في السابق."

ويقول م. أ. متظاهر آخر من بغداد:

"أثّرت الجائحة على نشاطاتنا في ساحة التحرير بشكل كبير. في شهر آذار/مارس، في بدايات حظر التّجول، قررنا حماية الأشخاص من الفيروس. أنا خريج كلية الطب البيطري وأعلم قليلًا عن الفيروسات. بدأنا، بمساعدة متظاهرين آخرين، بتعقيم خيم المتظاهرين في ساحة التحرير. قدمنا التوجيهات للمتظاهرين حول كيفية حماية أنفسهم من الإصابة بالفيروس باستخدامهم الكمامات والقفازات. لكن، في النهاية، يعارض البقاء في ساحة التحرير كل التوجيهات الصّحية. لذلك، كان إلزاميًا أن يعود المتظاهرون إلى منازلهم بسبب خطر الفيروس على الجميع. لهذه الأسباب، إتّبعنا تدابير وزارة الصحة وبقينا في المنازل."

ويقول سالار محمود، مستشار الرئيس العراقي حول تأثير فيروس كورونا:

"تعدّدت أسباب انخفاض نشاطات المتظاهرين في ساحة التحرير، ومنها تفشي الوباء. فرضت الحكومة حظر التّجول وأعطت التوجيهات للناس بالبقاء في المنازل. بالطبع، تراجعت نشاطات المتظاهرين لكنّ شكواهم لم تخفّ لأنّ الحكومة لمّا تستجب لمطالبهم."

وتقول زهراء كاظم، ناشطة سياسية وعضو في حزب الحكمة حول تأثير فيروس كورونا:

"بالطبع، كان تأثير الفيروس على التظاهرات عظيمًا. كان معظم الناشطين في ساحة التحرير

يتوجهون إليها يوميًا بعد الإنتهاء من أعمالهم. لكن، بعد الوباء، تبدّلت الأمور. فأصبح من يبقى في الساحة بعض الشباب فقط."

تُظهر هذه الأقوال تأثير الوباء الهائل على نشاطات المتظاهرين. لكنّ أقلية من الأشخاص تقول أيضًا: "إستمع إلينا يا وباء كورونا. تعال وزر اللصوص، الذين سرقوا ثروتنا. تعال وانتقم من الذين سرقوا أحلامنا. لقد أحببنا أرضنا فقط لكنّهم قتلونا."[٥] يعتقد بعض المتظاهرين أنّ الفساد أخطر من الوباء. لذلك، يستمرون بالتظاهر في ساحة التحرير لبعث رسالة مفادها أنّ الفيروس لن يضع حدًا للتظاهرات ولن يدفن أرواح أخوانهم الذين استشهدوا على يد ميليشيات مجهولة.

الخاتمة

أظهر هذا المقال أنّ تفشي الوباء أثّر في ثورة شهر تشرين الأول/ أكتوبر بعدة طرق. فهو دفع بالمتظاهرين إلى تجنب التجمعات والإجتماعات وإلى اتّباع التباعد الاجتماعي، ما جعل المشاركة في التظاهرات أمرًا مستحيلًا. وأدى الوباء إلى اهتمام الناشطين بسلامة السكان. يصعب على المتظاهرين ترك ساحة التحرير لكنّهم اتّبعوا توجيهات الحكومة وتدابيرها لحماية العامة. إنخفض عدد المتظاهرين يومًا بعد يوم، وتراجع الدعم الإقتصادي بعد تفشي الوباء.

(5) Hassan Ali Ahmed. Iraqi protesters stand firm, say corruption worse than coronavirus. Al- Monitor, March 7, 2020.

كورونا ورصاص مجهول في ميسان

حيدر الحسني

عشرات العجلات العسكرية منها سيارات للإسعاف أحاطت بقرية ابو جصان في ناحية السلام جنوب مركز محافظة ميسان (٤٢٠ كلم جنوب العاصمة العراقية بغداد) فرضت حجرًا صحياً على تلك القرية البالغ عدد سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة، جاء هذا الاجراء بعد اعلان وفاة الموطن (مهدي صالح كريم ٣٩ عام) بعد إصابته بفايروس كورونا (كوفيد ١٩).

الاجراءات المتخذة من خلية الازمة في المحافظة كانت صعبة على ابناء تلك القرية من الناحية النفسية وكذلك الاجتماعية، حيث ذكر مرتضى صالح كريم (أخو المتوفي مهدي صالح كريم) بأن هذا الاجراء غير مسبوق في المحافظة على الاطلاق وجاء بطريقة مفاجئة بدون إخبار مسبق، فضلا عن الوضع النفسي الذي وضع فيه ابناء القرية بشكل كامل.

عمليات الحجر الصحي لأهالي قرية ابو جصانة كانت وقائية، إذ شملت اخذ العينات من المخالطين للمتوفي من بينهم إخوته وأقربائه وكذلك زوجته وبناته الثلاثة وكانت النتائج سلبية وخلو القرية من أي إصابة.

وبيّن مرتضى صالح كريم بأنّ الحجر الصحي الذي استمر عشرة أيام لم يأتِ بأي فائدة كون زوجة أخيه وهي الأقرب له أثناء وقت مرضه لم تصب بالعدوى، مؤكدا بأن أخيه (مهدي) كان مصابا بفشل كلوي قبل عام تقريبا وكان في رحلة علاجية إلى إيران وعند عودته توفي بذات المرض، وقال مرتضى أن طريقة الدفن كانت أصعب على العائلة بعد ان تم دفنه بدون حضور العائلة في مكان نائي وبطريقة صعبة جدا.

وجاءت رواية دائرة صحة ميسان في بيان صحافي بأن المتوفي كان في إيران قبل وفاته بنحو ٢٠ يومًا وأثناء عودته تم فحصه في مطار بغداد الدولي عندها كانت أعراض إصابته بكوفيد ١٩ واضحة. عندها وضع في الحجر الصحي ليخرج من منزله وينقل بعد عدة أيام من وصوله إلى مستشفى الصدر التعليمي في مركز العمارة ليتم اعلان وفاته عند الساعة الواحدة من يوم ٨ آذار وتم دفن الجثة بطريقة صحية ووقائية.

عائلة المتوفي أكدت بأنها تتعرض باستمرار الى عمليات الاستهزاء بسبب ما حدث من نشر صور لطريقة دفن (المتوفي مهدي صالح) وكذلك إصرار الصحة على أنه كان مصابًا بفيروس كوفيد ١٩ على الرغم من التقارير الطبية التي تؤكد بأنه مصاب بفشل كلوي.

كما لاقت عائلة (المتوفي مهدي صالح) مصيرا آخر بعد أن تم قطع راتب المتوفي من دائرته بعد اعلان وفاته وتحويله إلى التقاعد كأجراء إداري، وعند اعلان الحظر في العراق، توقفت جميع الاجراءات الخاصة بالتقاعد لتعاني العائلة من مشكلة اقتصادية جديدة انحسرت بزوجة المتوفي وبناته الثلاثة ومن بينهم الصغيرة البالغة من العمر عدة أشهر.

ومع هذا التوقف، توقفت الحياة في عموم العراق بجميع مفاصلها بسبب الحظر الشامل للحركة ومنها الحركة بين المحافظات والمنافذ الحدودية وكذلك المطارات وحتى الأشغال والمصالح العامة والخاصة توقفت ومنها المصارف ومكاتب الصيرفة والحوالات ليدخل العراق بمرحلة ركود اقتصادي غير مسبوق.

وتحدث ايوب المالكي (خبير اقتصادي ومدير مصرف سابق) عن الركود الاقتصادي الذي أصاب العراق بعد اعلان حالة الحجر الصحي التي عادت على البلد بالعديد من المشاكل الاقتصادية وأبرزها: توقف سوق العمل بالكامل سوى قطاعات معينة أبرزها قطاع الانترنت والهاتف النقال التي تمتلكها شركات مستثمرة. بينما القطاعات الأخرى عانت الكثير من المشاكل ومنها المعامل المحلية وعدد من التجار الذين كانت لديهم التزامات مع شركات عربية وعالمية.

وأعرب أنّ الدولة العراقية لم تستطيع ان تأخذ بزمام الأمور وأوكلت كل الأمور الاقتصادية على عاتق التجار والمتنفذين والبعض منهم استثمر تلك الفرصة لرفع أسعار المواد الاستهلاكية، بينما لاقى القطاع المصرفي صعوبة كبيرة في الاستمرار بحيث سرحت بعض المصارف الأهلية موظفيها وتركتهم لأكثر من ٣ أشهر دون رواتب.

واشار بأن الدولة لم تتحمل الأعباء التي ألقيت على عاتقها وكان من بينها توفير المستلزمات الطبية لمكافحة الفيروس ومنها الكمامات والمعقمات التي نفذت من الأسواق بعد اعلان الحظر بأيام قليلة.

وقال يونس حبيب (٤٠ عام صاحب مكتب لتحويل الأموال) بأنّ عمليات التحويل الى المحافظات توقفت يوم ١٩ آذار/مارس ولم نعد نستطيع تحويل الاموال إلى خارج العراق أو استلامها حيث كانت عملية التحويل الداخلي بين المحافظات تسير بشكل خجول جدًا وبعمولات أكثر من الضعف في بعض الأحيان.

المصارف هي الأخرى لا تستطيع أن تقوم بكامل عملياتها المصرفية وكانت مغلقة بالكامل، وهنا لاقى العديد من التجار صعوبات كبيرة بتوفير السيولة لإعمالهم او انجاز ما بذمتهم من التزامات.

وأوضح عامر كاظم (٦٥ عام تاجر) أنّ الالتزامات التي كانت من المقرر ان يتم تحويلها الى الشركات او المصانع التي نتعامل معها أصبحت مشكلة كبيرة، وبعض دول الخليج العربي التي لم تفرض حظرًا للتجول كانت تطالبنا كتجار بتسديد الالتزامات المالية الخاصة بالبضائع والسلع.

القطاع الصحي أيضًا توقف نتيجة اغلاق العيادات والمراكز الصحية والإبقاء على الاطباء الحكوميين لأجراء العمليات الكبرى والمستعجلة، بينما أغلقت كافة العيادات الخارجية للأطباء الذين لم يبذلوا جهدًا في التواصل مع المرضى حتى عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، وهنا خلت الساحة للمستشفى الأهلي الوحيد في المحافظة الذي رفع الأسعار أمام المرضى.

وبيّن حميد إسماعيل (مريض بالفشل الكلوي) ان عملية غسل الكلى داخل المستشفى الحكومي تكلف مبلغا زهيدا بينما ذات العملية في مستشفى الجامعة اللبناني تكلف نحو ٤٠٠ دولار ويحتاج لنحو ١٢٠٠ دولار للغسل في الأسبوع الواحد، وهذا أمر لا يتحمله ماديا .

وأضاف بالقول حاولنا أنا والمرضى الآخرين إعادة فتح القسم الخاص بأمراض الكلى دون جدوى بسبب مركز الحجر الصحي للمصابين بالكورنا مجاور لمركز الكلى الصناعية في مستشفى الصدر التعليمي، وبحسب المعنيين هناك خطورة كبيرة على المرضى من انتقال العدوى لهم.

ومع هذا الكساد حاول عدد كبير من الطلبة العراقيين المبتعثين والدارسين في دول مختلفة العودة الى العراق بدون جدوى والسبب هو عدم تمكن البعض من الوصول للعراق بسبب الحظر المفروض على المطارات وكذلك توقف تحويل الاموال من العراق الى تلك الدول بعد إغلاق مكاتب الحوالات.

علي كريم (٣٤ عام محامي يكمل دراسته في الماجستير في مدينة مشهد الإيرانية) توقف تدفق الاموال له ولخمسة من زملائه بعد إغلاق مكاتب الصيرفة بين البلدين وتفشي فيروس كورونا في ايران وإغلاق كافة المصارف والمكاتب الخاصة.

وقال علي " فرض حجر صحي على الطلبة العراقيين وغيرهم في ايران وهنا أصبحت الاجراءات الخاصة بإعادتنا صعبة جدا بسبب البروتوكول بين الحكومتين العراقية والإيرانية فيما يتعلق بالفيزا الدراسية ويجب استحصال موافقات رسمية للعودة من السفر قبل الموعد وامتدت الحالة لنحو شهر بدأت من مطلع شباط حتى اذار ٢٠٢٠.

واضاف علي " لدى رحلة العودة كانت المطارات مكتظة والأمر مقلق للغاية إذ لا معقمات ولا كمامات كانت متوافرة وكلها نفذت من الصيدليات. حاولت الابتعاد عن الأماكن المزدحمة قدر الامكان لكن داخل الطائرة زحمة إجبارية لم اخلع كمامتي طوال الرحلة ولم المس وجهي ولم أتناول طعام أو شراب حتى وصولي الى ميسان.

وكذلك الحال حصل مع الطلبة المقيمين في روسيا وبعد تفشي فيروس كوفيد ١٩ فرضت بعض المدن الروسية حجرا صحيا على مواطنيها وأوقفت الدوام الرسمي للجامعات، وعندها حاول الطلبة العراقيين الرجوع للوطن دون جدوى بسبب توقف حركة الطيران التي فرضتها السلطات العراقية على جميع المطارات.

وأوضح احمد رشيد (طالب دكتوراه في روسيا) توقف الدوام كان بمثابة قرار مؤلم للطلبة وخصوصا الذين أوشكوا على إنهاء الفترة الدراسية، والصعوبة بدأت بعد إيقاف تحويل الاموال اللازمة للطلبة من قبل الحكومة العراقية بعد تعطيل المصارف ومكاتب الحوالات المالية، وهنا أصبحنا أمام صعوبات ما بين البقاء في روسيا دون مال والبضائع بغلاء مستمر او العودة للعراق بشكل غير مباشر بعد إقراض مبالغ السفر.

مضيفا أن ما حدث هو عمليات لاقتراض المال من بعض المقيمين من العراقيين والعرب في روسيا على امل تسديدها بعد العودة للعراق، وتم فعلا اقتراض المبالغ والعودة عبر السفر الى دول مثل لبنان او دبي او ايران ثم العودة للعراق وكانت الرحلة شاقة جدا ومكلفة بحدود ثلاث أضعاف السفر المباشر الى العراق، مع أمكانية البقاء في تلك الدول كون الوضع أصبح معقداً والفيروس ينتشر في عموم العالم.

ومع تسارع انتشار الفيروس في الصين وتسجيل أعداد من الإصابات فيها أصدرت الحكومة العراقية المتمثلة بوزارة النفط قرارا يقضي بوقف سفر الموظفين الصينيين العاملين في القطاع النفطي من والى العراق، اذ تعمل الشركات الصينية في العراق ضمن عقود جولة التراخيص الأولى والثانية والخاصة باستخراج النفط من الآبار العراقية.

المهندس عدنان نوشي (مدير عام شرطة نفط ميسان) أوضح بأنه تم التوجيه من قبل الشركات النفطية العاملة في حقلي بزركان والحلفاية النفطيين بعدم استقبال أي موظف صيني ومغادرة أي موظف خارج العراق ابتداءً من ٦ كانون الثاني بعد ان أصدرت خلية الازمة المركزية توجيهات بعدم استقبال أي مواطن من الدول التي تفشى فيها فيروس كوفيد-١٩.

وأشار بأن الشركات الصينية امتثلت لهذا الأمر بشكل كبير ومنعت موظفيها من الخروج ومنعت الحركة البحرية خارج مواقع العمل، ومارست حجرًا صحيًا على جميع الموظفين المحليين والأجانب وأجرت بعض الفحوصات المختبرية لهم، وبعد تشكيل لجان صحية تأكد عدم إصابة أي موظفي بالفيروس.

أوقفت ساحات الاعتصام نشاطاتها وعلقت كافة الفعاليات ومنها التدفق الى الساحات في العراق ومنها ميسان جاء هذا الاجراء مع اعلان حظر التجوّل لحين عودة الحياة إلى طبيعتها وخصوصا أن ساحات الاعتصام في المحافظات مكتظة بالحركة، وتم الإبقاء على بعض الشباب لحماية الخيام.

وأوضح ابو علي الملحاني (٥٢ عام أحد أعضاء تنسيقية اعتصام ميسان) أوصت تنسيقية ساحة اعتصام ميسان بأن من الضروري إجراء عمليات تعقيم للخيام والساحة بشكل كامل ودوري للحد من وصول الوباء لمن تبقى من المعتصمين وضرورة الالتزام بالوقاية الصحية.

أنشطة مختلفة كانت تترقبها ساحة اعتصام ميسان ومنها التصعيد ضد تأخر تشكيل الحكومة ومطالبة قيادة شرطة المحافظة بالكشف عن التحقيقات التي جرت سابقا بمقتل بعض الناشطين والمتظاهرين والذي بلغ عددهم ٢٤ قتيل وإصابة ما لا يقل عن ٢٥٠ من المتظاهرين بعد انطلاق التظاهرات يوم ٢ تشرين الأول من العام الماضي.

وقال علي الدهامات (احد المتظاهرين وشقيق الناشط المقتول امجد الدهامات) طالبنا شرطة ميسان مراراً بالكشف عن التحقيق وإعلان نتائجه أمام الرأي العام والكشف عن الجنات الذين قتلوا أخي دون أي جدوى، وجميع الاعذار قدمت قيادة الشرطة التي لم تحرك ساكن بعد مقتل أخي بالقرب من مبناها بحدود ٥٠ مترا، وكان من المؤمل أن نقوم بالتصعيد والمطالبة بالإعلان عن التحقيق الذي أجرته الأجهزة الأمنية ولكن اعلان الحظر جاء في الوقت غير المناسب وتم تأجيل نشاطنا لحين عودة الحياة الى طبيعتها.

وبعد الإعلان عن أول إصابتين بفايروس كوفيد ١٩ في ميسان وحصول بعض الهلع بين صفوف المواطنين قرر البعض منهم الركون الى البيت وعدم الخروج قبيل الإعلان عن الحظر الصحي الكامل استغلت مجاميع مسلحة تلك الفرصة لقتل أبرز قيادات التظاهرة في ميسان وهو (عبد القدوس قاسم) ورفيقه كرار عادل يوم ١١ اذار.

واشار محمد قاسم (٣٦ عام اخو عبد القدوس قاسم) كانت الصدمة كبيرة بمقتل أخي وبالرغم من تلك الصدمة وجدنا الكثير من العقبات منها وجود إحدى الجثث المصابة بفايروس كوفيد ١٩ في دائرة الطب العدلي لنمنع من الدخول نهائيا، وهنا كان صعوبة أقامة مجالس العزاء او حتى نقل الجثث لدفنها في مدنية النجف التي تبعد عن ميسان بنحو ٤٠٠ كيلو متر بعد قطع معظم الطرق بالسواتر الترابية.

ومع تشكيل خلية أزمة محلية من مجموعة من الدوائر ذات العلاقة لمتابعة تداعيات الإصابة بفيروس كوفيد ١٩ أصبح وجود تلك الخلية أزمة في المحافظة بسبب تكتمها على الكثير من البيانات والمعلومات الخاصة بالمرضى، وأعرب عدد من الصحفيين في المحافظة بأن ما حصل في خلية الازمة من إخفاء للبيانات وعدم وضوح رؤيتها أصبحنا نشكك بالإعلانات والبيانات التي تنشرها بين الحين والآخر.

جاسم الأنصار (مراسل راديو المربد) أكد بأن خلية الازمة فتحت الباب أمام الصفحات الوهمية عبر مواقع التواصل الاجتماعي لنشر أكاذيب مروعة عن أعداد غير حقيقية مصابة بفيروس كوفيد-١٩، وصمتت الخلية عن تكذيب ما ينشر والاكتفاء بتسريب بياناتها عبر صفحات غير موثقة دون التوجه نحو المؤسسات الإعلامية العاملة في المحافظة.

وأضاف بأن خلية الازمة عمدت على عدم إشراك الصحفيين في اجتماعاتها الأولى أو حتى إشراك أحد الإعلاميين ضمن تلك الخلية، وحتى أنها لم تسمّ مكانًا محددًا لتواجد أعضاء الخلية وأصبحت الاجتماعات عشوائية بعد ان عقدتها في دائرة الصحة وقيادة الشرطة ودار استراحة شركة النفط وغيرها.

انمار العراقي (وهو اسم مستعار لأحد أصحاب الصفحات الإخبارية على الفيسبوك) أشار بأنه يحصل على الأخبار من أحد الحمايات الخاصة بمسؤول ضمن خلية الازمة فالأخير يقوم بإرسال مقررات الخلية له بعد انتهاء الاجتماعات مباشر ويقوم انمار بنشرها في موقعه الإخباري.

وقال انمار ان بعض الأخبار لم تكن حقيقية ولكنّي احرص على زيادة عدد متابعي الصفحة وكذلك المتفاعلين معها وبذلك لابد من نشر عناوين تجذب القراء وترفع من اسم الصفحة لتكون الأولى من بين مئات الصفحات الإخبارية الموجودة عبر الفيسبوك.

وما تزال خلية الازمة المحلية غير دقيقة في إعلانها عن نتائج المرضى المخالطين للمرضى المصابين بالفيروس وحتى أعداد الذين تم اخذ العينات منهم وإدخال المدينة في دوامة يقودها عدد من الشباب يديرون صفحات إخبارية على مواقع التواصل الاجتماعي يثيرون الرعب بين الحين والآخر.

تأثير فيروس كورونا على النشاط السياسي والمجتمع المدني

مقدمة

لا تبدو الأوضاع، حاليًا، على مستوى الدول والمجتمعات بعد جائحة فيروس كورونا "كوفيد-١٩" كالسابق، خاصة على المستويات: الاقتصادي -التنموي، والسياسي، وعلى مستوى التعليم الجامعي، والبحث العلمي، والتوزيع العادل للموارد على قطاعات الدولة، وخاصةً قطاعي الصحة والتعليم اللذين سيكونان مجال اهتمام أدق.

سوريا (ومناطق شمال شرق سوريا وهي مجال المقال) ليست مستثنية من هذه التطورات مثلما لم تكن استثناءًا من انتشار كورونا "كوفيد-١٩" وستكون تداعيّات الجائحة أكثر وطأة من غيرها بسبب الأزمة /الحرب التي تعصف سوريا منذ عشر سنوات.

ويبدو أنّ تأثير حظر التجول، والتباعد الاجتماعي ترك أثرًا كبيرًا وانعكس سلبًا على حياة الناس، ومعيشتهم وكذلك أثّر على المستوى السياسي والمدني-المجتمعي.

ويبدو أن أكثر من تأثر من تداعيات الجائحة هي المؤسسات الإدارية (الإدارة الذاتيّة)[1] في دلالتها السياسية والمدنية، بسبب قلة مواردها، ولوجود المجتمعات التي تعتمد على قوتها اليومي، ويعزى السبب لعدم الاستجابة للاحتياجات من قبل المنظمات الدوليّة والأمميّة هو غياب خبرة "إدارة الخبرات".

التجنب من الانزلاق

فرضت الإدارة الذاتية (السلطة المحلية في شمال وشرق سوريا) سلسة من القرارات فور صدور نداءات من منظمة الصحة العالمية، وكان أهمها:

- إجراءات احترازية لمواجهة أزمة "كوفيد-١٩" مثل بناء مراكز للحجر الصحي، والعمل على فرض ثقافة "التباعد الاجتماعي" وإغلاق المعابر مع الدول والمحيط المجاور، ومن ثم انشاء مراكز لاستقبال حاملي الفيروس وتقديم الرعاية الصحية لهم، وكذلك مناداة دول العالم لتقديم الدعم للمنطقة.
- وكان إغلاق معبر سيمالكا الحدودي في نهاية شباط، ثم في ١٤ من آذار / مارس أول إجراء وقائي في الحد من التواصل مع دول الجوار.
- وأصدرت السلطة قرار يقضي بإغلاق كافة المدارس ومنع التجمعات وإلغاء المناسبات (مجالس الفرح أو العزاء وغيرها من المناسبات)، وتبعه قرار في ١٩ من شهر آذار / مارس يقضي بمنع التنقل بين المدن واغلاق الكافتيريات والمقاهي والتجمعات التجارية والحدائق العامة، وكذلك دور العبادة.
- وفرض حظر تجوال على المنطقة بتاريخ ٢٢ آذار/ مارس، ولاحقا تم تمديد الحظر عدة مرات، والتزمت به الأحزاب السياسية (السريانية والكردية ونخبة من شيوخ العشائر).

(١) هي الإدارة التي تدير منطقة شمال وشرق سوريا منذ سنوات تقودها عسكريًا قسد (قوات سوريا الديمقراطية مدعومة من التحالف الدولي لمحاربة الارهاب) وسياسياً مسد (مجلس سوريا الديمقراطية ويعتبر الواجهة السياسية لقسد).

- إلغاء التجمعات في المناسبات الدينيّة والقومية، فالأكراد ألغوا احتفال بعيدهم النوروز القومي، والأحزاب السريانية ألغت التجمعات بمناسبة رأس السنة البابلية الآشورية، والذي يصادف الأول من نيسان.

وكل تلك الاجراءات كان هدفها تجنب أي انزلاق على المستويات المختلفة.

ويومًا بعد يوم ازدادت المخاوف بين أوساط الناس والمؤسسات السياسية والإدارية والمدنية بسبب افتقار القطاع الصحي للوازم الطبية والأجهزة الخاصة بفحص المصابين أو المشكوك بأنهم حاملين للفيروس، وكذلك عدم مساندة الحكومة السورية[٢] -لمنطقة شمال وشرق سوريا- لمواجهة الوباء من خلال المعدات الطبية اللازمة، وذلك القى بظلاله على الأداء العام في المقاربة عند الإجراءات المتبعة والعزل الاجتماعي.

وفي ظل غض النظر عن كل الاستجابات لاحتياجات المنطقة، وفي تاريخ ٢٣ نيسان منحت رئاسة إقليم كردستان العراق جهازين فحص (PCR) الخاص بالكشف عن "كوفيد-١٩"، للسلطة المحلية في المنطقة، الأمر الذي اعتبره الأهالي "هبة عظيمة" وبادرة طيبة من رئاسة الإقليم تجاهها، خصوصا بعد حدوث حالة الوفاة في مدينة قامشلو / القامشلي بتاريخ ١٧ نيسان الفائت، فقد أصيب شخص بالفيروس وانتظرت إدارة المستشفى نتيجة التحليل من دمشق التي لم تكن تعر للأمر أي أهمية، حيث أصبح الاهالي في تلك المنطقة يقولون: و"كأننا لسنا مواطنون سوريون؟! ".

تأثير فيروس كورونا على النشاط المدني:

تأثر المشهد المدني-الانساني من تداعيات الجائحة إلى حد كبير، فاضطرت المنظمات المدنية والانسانيّة (المحلية) إلى تغيير أهدافها وجميع أنشطتها إلى خطة الاستجابة للمشهد الطارئ واصبح الانخراط في البرامج التوعوية الخاصة بالفيروس من أولويات تلك المنظمات.[٣]

فالمنطقة تضج بالمجتمعات النازحة وعدد كبير من المخيمات، وأكثر من مئة وخمسين ألف نازح، وعشرات المخيمات الخاصة إما بعوائل عناصر تنظيم داعش، أو النازحين الجدد من المدن التي شهدت عمليات تمشيط من داعش، وكذلك المدن التي احتلتها تركيا مثل عفرين وسري كانيه / رأس العين، وتل أبيض / كري سبي.

ويقع في مدينة منبج تقع ثلاثة مخيمات هي: (المخيم الشرقي القديم، والشرقي الجديد، ومخيم جديدة الحمر).

وفي الرقة هناك عدد من المخيمات وهي: (مخيم تل السمن، ومخيم المحمودية، ومخيم أبو قبيع).

وفي إقليم الجزيرة هناك مخيمات عديدة وهي: (مخيم روج، ونوروز، وواشوكاني، والعريشة، إضافة إلى مخيم الهول).

وتجدر الإشارة إلى أن مخيم "الهول" هو واحد من أخطر المخيمات، ويحوي بغالبيته على زوجات عناصر

(٢) كانت السلطات المحلية، وقبل أن ترسل رئاسة اقليم كردستان أجهزة الاختبار الخاصة بكشف كورونا، وعددها اثنان، قد اضطرت لإرسال العينات إلى دمشق لفحصها وإعطاء النتيجة كان قد استغرق وقتًا طويلًا.
(٣) سمحت بعض المنظمات الدولية للمنظمات المحلية الشريكة لها بتسخير جزء من برامجها للاستجابة الطارئة مثل نشر الوعي، وأهمية التباعد الاجتماعي.

"داعش" المحليات منهن والأجنبيات، إضافة لمقاتلي داعش المصابين والمعوقين وهم من المقاتلين السابقين لداعش، عدا عن اللاجئين من العراق.

ويعمل في المنطقة (شمال وشرق سوريا) أكثر من ١٣٠ منظمة محلية ودولية، يتنوع عملها بين المنظمات الإغاثية والإنسانية والمنظمات التي تهتم بالجانب التوعوي والتعليمي ومنظمات المجتمع المدني.

وتوزعت نشاطات غالبية هذه المنظمات:

- تضافر جهودها ونشر التوعية للوقاية من الفيروس، والعمل على التباعد الاجتماعي، وشرح أهميته للأهالي، في ظل هذه الجائحة.
- اختصر نشاط بعض المنظمات على حملات تعقيم للمخيمات.
- عمل بعضها الآخر على توزيع المنظفات والمعقمات على الناس.
- ساهمت منظمات أخرى من خلال موظفيها على نشر التوعية عن طريق توزيع بروشورات توعوية.
- ساهمت منظمات أخرى على توعية قوى الأمن الداخلي (الأسايش) من خلال نشر إجراءات وقائية للحد من خطر الوباء.

وكانت لوسائل الاعلام المحلية (في المنطقة) دور كبير ومتزامن مع المنظمات المدنية-الانسانية في نشر التوعية على منصاتها المختلفة: التلفزة، والإذاعة، ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي (السوشيال ميديا).

من "تماسك اجتماعي" إلى "تباعد اجتماعي"

قبل جائحة كورونا كانت الجهود الانسانية والمدنية وحتى السياسية ترتكز على عملية "التماسك الاجتماعي" والسبب:

- معاناة الناس من ويلات الحرب التي نهشت المنطقة ككل، مما ساهم في خلق الشرخ وزيادة الهوة بين المكونات المجتمعية من الخلفيات القومية / الدينية والمذهبية / الثقافية المختلفة الأمر الذي باتت فيه مسألة التماسك الاجتماعي أحد أهم الاحتياجات، خصوصا في المناطق المحررة حديثًا من داعش، وذلك لأنّ:
- ما خلفته داعش من أنماط معيشية وأفكار، كإرث بعد زوالها، لا تخدم المصلحة العامة للناس، فداعش كان يعتبر الناس مقسمين بين "أهل الكفر" و "أهل الاسلام".
- ازدياد خطاب الكراهية ليس في الأوساط المجتمعية فحسب، إنما في أوساط النخبة المثقفة والمؤسسات الإعلامية أيضًا.
- وجود اختراق واضح في المجتمع حتى على مستوى العائلة.

تلك العوامل أعلاه دفعت بالمنظمات ليكون العمل على "التماسك الاجتماعي" أحد أهم أجندات عملها خلال المرحلة (ما قبل كورونا).

وأصبحت مطالب مثل: التوازن الاجتماعي، وإيجاد نظام مبني على المساواة والعدالة، والاستقرار الاجتماعي، وبلورة الثقافة الديمقراطية، وتعزيز كل أشكال المساواة في المجتمع من أهم الأهداف التي يجب العمل عليها.

وتشكل اليوم ما أفرزته جائحة كورونا من تداعيات، منها ما تركه "التباعد الاجتماعي" من أثر في ظل غياب

برامج التواصل "عن بعد" على مستوى العامة.

في حين أن هناك واجب اعلامي-مدني للعمل على تحويل هذا "التباعد الاجتماعي" وفرز الأولويات لدى الناس سواء الأفراد، أو الجماعات ليصبح سبيلًا لبلورة السلم الأهلي، مما يعزز بدوره "التماسك الاجتماعي".

تأثيرات كورونا على النشاط السياسي-المدني

شهدت منطقة شمال وشرق سوريا حراكًا مدنيًا وسياسيًا على مستوى المشهد السياسي: زيارات لمبعوثين دوليين، وحوارات بين المجلس الوطني الكُردي، والاتحاد الديمقراطي، بالموازاة مع التطورات السياسية في سوريا ككل مثل العملية الدستورية. ونشاط مكثف من قبل المنظمات الدولية العاملة والمتواجدة في المنطقة للاستجابة للحاجات الانسانية والمجتمعيّة، والسياسية.

ومع الاجراءات الوقائية من قبل الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا توقف النشاط العام إلى حد كبير، الأمر الذي انعكس سلبًا على ديناميّة بناء الاستقرار، وتعزيز "التماسك الاجتماعي" مما مهّد إلى ظهور الخلايا النائمة للتنظيمات الراديكالية، ولا سيما "داعش" في بعض من المناطق في شمال وشرق سوريا في وقت أعلنت فيه قوات "قسد" موافقتها على وقف إطلاق النار استجابة لنداء الأمين العام للأمم المتحدة (والمبعوث الأممي الخاص غير بيدروسن) في حين ظهرت تحديّات جمّة جديدة ما أثبتت وساهمت في تقييد النشاط العام، مثل:

- جمود النشاط السياسيّ، ويمكن القول إن الاجراءات الوقائية أثرّت بشكل كبير على حركة النشاط السياسي العام في المنطقة، كما تركت أثرًا كبيرًا على دينامية الحراك المدني، وكذلك اختفت من المشهد العام: المؤتمرات، والفعاليات التي كانت تقام دوريًا.
  كما أنّ النمط الجديد للتواصل الاجتماع عبر تقنية الفيديو يحتاج إلى خبرات تواصل، أضف إلى ذلك أن هذا النمط من التواصل يخلق نوع من الخوف، لدى المعنيين، من تطبيقات التواصل عبر الفيديو بسبب سريّة المعلومات المتداولة، وعدم الثقة من مدى تشفير التطبيقات أو قابليتها لعمليات القرصنة الالكترونية، فضلًا عن أنّ هذا النمط يحتاج إلى موارد إضافية، مع الأخذ بعين الإعتبار سوء الإنترنت في كثير من المناطق وباتت هذه الخدمة أيضًا تحديًا حقيقيًا.
- تقليل نشاطات التواصل المباشر، وتخفيف حضور المبعوثين الدوليين في المنطقة الأمر الذي ساهم في نقل النشاطات السياسية والمدنيّة بشكل غير دقيق، وبلا جودة أو جدوى.
- صعوبة التواصل مع المنظمات الدولية المدنية والدبلوماسيين الذين لهم شأن هام بالمنطقة خصوصًا وأن المنطقة بأمس الحاجة للدعم.
- وقف برامج متعلقة ببناء الجسور بين المكونات المجتمعيّة، وبرامج التماسك الاجتماعي الذي يشكل اليوم أهميّة كبيرة في بناء الاستقرار السياسي-المدني والمجتمعي.
- ترك أثر كبير في دينامية جميع التنظيمات والشخصيات السياسية وأثرت في الأداء عند مقاربة مسؤولياتهم السياسية والمدنية في مسائل بناء السلام وصياغة الانسجام الاجتماعي.
- خلق الهوة بين ما هو وطني، وما هو محلي، ما دفع بتعزيز روح الانطوائية السياسية على الحساب الوطني الجامع.
- الجمود السياسي والتواصل مع الأطراف المنخرطة في شمال وشرق سوريا خلق هوة لمراقبة ومتابعة المجريّات في المناطق التي تقع تحت سيطرة تركيا، وتاليًا حدوث التغيير في الهندسة الديمغرافيّة في منطقتي سري كانيه / رأس العين، وتل أبيض/ كري سبي" بسبب أن القوى المسيطرة في تلك المناطق لم تتخذ الاجراءات الوقائية ولم تفرض حظر التجول واجراء التباعد الاجتماعي أو حجر المناطق والبلدات... الخ.

- استغلال الحكومة السوريّة، وقوى عسكرية تابعة لإيران في محافظة دير الزور، حالة حظر التجول، حيث حركت الشـــــرائح الموالية لها (ضمن منطقة سيطرة الإدارة الذاتية) بهدف خلق الهوة المجتمعيّة وتعكير الصـــفو واتهام القوى في المنطقة بالعمالة للأجنبي، ودحض القضـــية "القضـــية الكردية" في الأداء وبناء الإستقرار ومحاربة الارهاب.[٤]

الآثار السلبية على المجتمعات المحلية وصغار الكسبة

كان لقرارات السلطة المحلية في فرض حظر التجول وإغلاق المحال أثر بالغ على الناس، وصغار الكسبة، مثل: محال الحلاقة والتجميل، ومحال الكماليات، والألبســة، ومحال قطع التبديل للسـيارات وغيرها الكثير من المحال أغلقت، وكان المسموح أو المستثنى من قرار الحظر فقط محال المواد الغذائية والخضـار مع الالتزام بالعمل وفق الشـروط الصـحية (لبس الكفوف الطبية، والكمامات) والمنسـجمة مع شروط التباعد الاجتماعي، ما جعل كثيرون يعانون اقتصـاديًا في ظل هذا الوضع القائم، واشتكى الكثير من أبناء المنطقة الذين يعملون بقوتهم اليومي من سوء حالتهم الاقتصادية في ظل فقدان الاستجابة من قبل المنظمات العاملة.[٥]

الحلول

يتوجب على المنظمات الدولية اعادة النظر في برامجها وتقوم بـ:

- دعم المنظمات المدنية والانســانيّة في المنطقة على مســتوى واسع بحيث يصــبح بإمكانها القيام بالاستجابة لاحتياجات الناس، ومن المهم المساهمة في الوقوف إلى جانب المتضرر الأكثر في العمليات الوقائية.
- دعم برامج "سبل العيش"، و"التماسك الاجتماعي"، و"تعزيز السلم الأهلي"، و"بناء الجسور بين المكونات السياسية والمجتمعية"، والبرامج المتعلقة بالتنمية الديمقراطية، والحكم الرشيد.
- هيكَلة المؤسسات الإدارية (الحوكمة)، والبرامج الخاصة بإعادة الهيكَلَة (على مستوى الشبكات، والروابط) وصولًا إلى المنظمات القادرة على تلبية كل الاحتياجات.
- دعم المنطقة بالبرامج الخاصة ببناء الســـلام، وبرامج لتأهيل قادة المجتمع المحلي "حتى يكونوا قادرين في مسألة "ترك أثر" وتحويل آثار "التباعد الاجتماعي" إلى نمط معيشي، ومؤسس للاستقرار الاجتماعي.

ومسؤولية المنظمات الأممية تكمن في:

- الاستمرار في الرعاية الأممية في مسألة الحل السياسي بموجب قرار ٢٢٥٤، وتحقيق الانتقال الديمقراطي ويشارك في هذه العملية كل المكونات المجتمعية-السياسية.
- حث منظمة اليونســـــكو للاهتمام بالموروث الثقافي المجتمعي وتوثيق الاثار، والمنتج الثقافي لمجتمعات المنطقة بالموازاة على العمل على مسألة نشر ثقافة الحوار بين المكونات المجتمعية -السياسية.
- على منظمة الصـــحة العالمية العمل على جعل المنطقة مشـــمولة عند دعم إزالة الآثار العكســـية لتداعيات كوفيد-١٩.

(٤) اتهم بشـــار الأسد من خلال تصـــريح له في آذار ٢٠٢٠، الأكراد بالتعامل مع المحتل واتهم "مجموعات كردية" بالعمل تحت الســـلطة الأميركية، وأنكر وجود "قضية كردية" في سوريا.
(٥) حتى تاريخ كتابة المقال، لم تشهد المنطقة برامج الدعم والاستجابة الخاصة بـ"كوفيد-١٩".

- تفعيل الحوار المحلي برعاية المؤسسات ذات الشأن الأممي المنخرطة في الشأن السوري من قبل الأمم المتحدة والدول التي لها الشأن في المنطقة.

ما هو ضروري وملح؟

- الدفع باتجاه صياغة نوع من التنسيق بين شمال وشرق سوريا والمناطق السورية الأخرى لتبادل الخبرات الصحية وأيضاً تبادل المعلومات، وفتح النوافذ الانسانية بين الجغرافيات الثلاثة (الحكومة السورية، ومناطق شمال غرب، وشمال شرق سوريا)، وخلق نوع من التواصل الحيّ وذلك لتعزيز المصالح العامة.
- زيادة دعم البرامج الخاصة بدعم المرأة، والتي تشكل الأساس المتين في القعر الاجتماعي في أي دولة ومقاطعة.
- البرامج الخاصة بتعزيز دور المجتمع المدني المحلي في الحياة العامة من خلال البرامج الخاصة وبناء القدرات لدى المتطوع والذي أصبح صاحب التجربة، حتى يكون لاعبًا لخير البلاد ومساهم في أي عملية تغيرية-اصلاحية.
- دعم التنوع الاجتماعي في المنطقة، والحفاظ على أبناء هذا التنوع وتعزيز مصالحهم في البقاء في المنطقة، وخلق بيئة خصبة مساهمة في عملية الانتماء الوطني العام من نافذة الانتماء المحلي.
- الوقوف إلى جانب المجتمعات الأكثر عرضة للخطر، وتعزيز ثقافة الحوار بين الذهنيات الدينية والاثنية.

تـأثير جائحة كورونا على مجرى التظاهرات العراقية

مصطفى م. حسن

شكّلت جائحة كورونا تحديًا مهمًا لنشـــاطات عدّة وهددت الحياة البشـــرية بدون أن توفّر العائلات والمجتمعات المحلية والمجتمع بالإجمال في جميع أرجاء العالم. واضـطلعت عوامل عدة فُرضـت أثناء جائحة كورونا ومنها التّواصل والسـلوك الاجتماعي، والتّدابير الوقائية، والتّباعد الاجتماعي، والحجر الصـحي بدور في التّأثير في مجرى التظاهرات العراقية التي بدأت في شهر تشرين الأول/أكتوبر سنة ٢٠١٩.

في ١٥ آذار/مارس ٢٠٢٠، أعلنت الحكومة العراقية فرض حظر التّجول كجزء من جهودها لاحتواء الوباء في البلد في ظل وضع يمكن وصفه على أنّه الأزمة الأعظم التي تعصـف بالعالم. وأثناء التظاهرات العراقية واسعة النطاق ضد الفسـاد والنفوذ الخارجي في العراق، قُتل ٧٠٠ متظاهر وجُرح ٢٠٠٠٠ شخصٍ. وتصـدّرت التّظاهرات التي بدأت في الأول من شهر تشـرين الأول/أكتوبر ٢٠١٩ لائحة أولويات القضـايا العراقية. وللمرة الأولى في التّاريخ العراقي، تؤدي التّظاهرات إلى استقالة الحكومة.

وبعد ذلك، أحبط زخم التّظاهرات المحاولتين لتشـكيل حكومة برئاسة محمد توفيق علوي أولًا، وعدنان الزرفي ثانيًا، اللذين فشلا في تشـكيل حكومة بسـبب الاختلافات السّياسية الحادة، في حين استطاعت الأغلبية في حكومة مصـطفى الكاظمي أن تحصـل على موافقة المجلس. وبذلك، تم تشـكيل الحكومة بعد خمسـة أشهر على استقالة حكومة عادل عبد المهدي.

وعلى الرغم من تقديم السّياسـيين لتنازلات للمتظاهرين في سـاحات الاحتجاج، استمرت التّظاهرات في مدن عدة في العراق ولم تتغير أهم المطالب مثل منع التدخلات الأجنبية، وإنهاء نظام تقاسم السـلطة الطائفي، وتحسـين الخدمات والظروف المعيشية وخلق فرص العمل.

تغيير مجرى الأحداث

خفّضت جائحة كورونا عدد المتظاهرين بشكل ملحوظ وذلك بسـبب تحذيرات منظمة الصـحة العالمية ووزارة الصـحة العراقية، ما أدى إلى تغيّر في مجرى التظاهرات. وقررت النقابات المهنية واتحادات الطلاب أن تتوقف عن الدعوة للتظاهرات والتجمعات كجزء من التزامها بالتقيّد بالتوصيات الصادرة إثر تفشي الوباء.

أصدرت لجنة تنسـيق ساحة التحرير سلسـلة قرارات تتعلق بتغيير مجرى التّظاهرات للوقاية من الفيروس والحد من انتشـاره بين المتظاهرين. على سبيل المثال، سمحت ببقاء شخص أو اثنين فقط في خيمة واحدة في ساحة التّحرير. وبالإضافة إلى حملات التّعقيم، من خلال رش مواد معقمة، وحملات التوعية اليومية بالقرب من الساحة وفي مناطق أخرى من العراق، اعتمدت لجنة تنسيق في ساحة التحرير التدابير الآتية:

- تخفيض عدد الأشخاص داخل الخيمة إلى النصف.
- حجر الاعتصامات (sit-ins) في الخيم وتجنب التّجمعات والمسيرات.
- الاستمرار في تعقيم الخيم حيث تحصل الاعتصامات.
- حشد المتطوعين من الاعتصامات في أجل حملات التعقيم حول الساحة.

يقول موسى العرجي، أحد قادة اتحاد الأطباء البيطريين: "كان قرار الاستمرار في التظاهرات يهدف إلى الحفاظ على مبدأ التظاهرات والمطالب، وفي الوقت نفسه، المحافظة على حياة الأشخاص وحمايتهم من الإصابة بالفيروس. لذلك، تم صب الجهود لكي تتحول التظاهرات إلى حملات توعية والمساهمة في تعقيم المناطق المحيطة بالساحة. بالنسبة إلى عدد المتظاهرين في ساحة التحرير، فانخفض بشكل ملحوظ، حيث لا يتخطى هذا العدد حاليًا ١٠٠٠ شخصٍ."

بقي المتظاهرون في ساحة التحرير أثناء الحجر الصحي لإيصال آرائهم أو مواقفهم السياسية ألا وهي أنّ التظاهرات لم تمت. ونفّذوا سلسلة من الفعاليّات المختلفة.

ويقول فلاح جثير، أحد المشاركين المسؤولين عن تنفيذ هذه النشاطات في ساحة التحرير: "شاركت ومجموعة من المتظاهرين في تنفيذ سلسلة من النشاطات أثناء فترة الحجر وحظر التجول. على سبيل المثال، في ١٥ نيسان/أبريل، نظّمنا مسيرةً صامتةً تتماشى مع التدابير الصحية الوقائية للتعبير عن رفضنا لتعيين مصطفى الكاظمي كرئيس للوزراء. تبع المسيرة جلسة لتذكّر شهداء الثورة، إذ إنّنا أضأنا الشموع في ٢٢ نيسان/أبريل. وبعدئذ، أكملنا العمل على نشاطات مختلفة." وأضاف: "نفّذنا هذه النشاطات مع احترامنا الكامل للتباعد الاجتماعي وتطبيقنا للتدابير الوقائية الضرورية لتجنب انتشار الفيروس."

مشاركة المرأة

كانت زيادة مشاركة المرأة في التظاهرات من أبرز أحداث ثورة تشرين الأول/أكتوبر. شهدت ساحة التحرير تحركات نسائية منظّمة ساهمت في زيادة مشاركة المرأة في التظاهرات بشكل ملحوظ، من خلال تقديم المساعدة اللوجستية والخدمات الطبية للمتظاهرين. إلا أنّ الوباء أثّر جدًا في نسبة المشاركة. فهي انخفضت إلى نسبة صفر تقريبًا، خصوصًا في الأسابيع الأولى من حظر التجول.

تحدثت سارة أزهر، وهي مدرّسة في المرحلة الثانوية وناشطة سياسية، عن تأثير الوباء في التظاهرات قائلةً: "في الأسابيع السّت الأولى من فرض حظر التّجول، لم تشارك النساء أبدًا في التظاهرات. بعد هذ الفترة، عادت ثلاث نساء إلى ساحة التحرير وهنّ: 'أم أحمد' التي تطوّعت لطهي الطعام للمتظاهرين المتبقيين في الساحة، و'أم هيثم' التي تطوعت لغسل الثياب، وصحافية أتت لتغطية الأخبار ثم غادرت الساحة فورًا."

بدائل إفتراضية

غيّر المتظاهرون طريقة تظاهرهم. فهم بدأوا بتنظيم التظاهرات عبر مواقع التواصل الإجتماعي بما أنّ النّاشطين السياسيين تجنّبوا التجمعات الجسدية للحؤول دون زيادة أعداد الإصابات. أجبر فيروس كورونا الناشطين على استخدام مواقع التواصل الإجتماعي للتعبير عن مواقفهم وتنظيم الحملات مثل الإعتراض على ترشيح عدنان الزرفي لمنصب رئيس الوزراء والتعبير عن موقفهم حول إقالة المحافظين الذين بقيوا في مناصبهم لمدة تفوق المدة المسموح بها قانونيًا.

يقول محمد مثقال، وهو أحد قادة التلامذة المتظاهرين وعضو في اتحاد الطّلاب في جامعة الإسراء: "أوقفنا نشاطاتنا مؤقتًا لحماية العائلات والمجتمع من الوباء. نحن لا نخشى الموت بل نهتم لأمر من نحب." ويضيف: "عوضًا عن وجودنا الجسدي الضّروري للتظاهر في ساحة التحرير، بدأنا باستخدام وسائل التواصل الإجتماعي

لنعبّر عن معارضتنا وانتقادنا للأحزاب الفاسدة. نركّز على التخطيط والتنظيم الذاتي لأهم التظاهرات مع ارتفاع درجات الحرارة في الصيف، آملين أن تنتهي أزمة الوباء لنستمر في التعبير عن مطالبنا."

التحديات اللوجستية

من المعروف أنّ استمرارية التظاهرات تعتمد على مدى توافر المصادر اللوجستية اليومية المتعلقة بمخيمات التظاهر.

إنعكست الأزمة الاقتصادية وانخفاض اهتمام المستثمرين بسبب جائحة كورونا سلبًا على وصول المنح المالية والغذائية إلى المتظاهرين. وأصبحت أولويات المانحين حاليًا دعم العائلات الفقيرة بدلًا من دعم مخيمات التظاهر.

يقول أحمد صالح وهو متظاهر في ساحة التحرير: "توقف المانحون عن دعم المتظاهرين. وأصبح المستفيدون من المنح العائلات الفقيرة والأشخاص الذين فقدوا وظائفهم بسبب حظر التجول، ما انعكس بشكل واضح على مجرى التّظاهرات وعلى احتمالية بقاء المتظاهرين في الخيم."

الإنقسامات والإختلافات

لا ترتبط مخاوف الحكومة بتعبئة المتظاهرين وتجمّعهم فحسب، بل برؤيتهم السّياسية حول الأحداث السّياسية في البلاد أيضًا.

بعد ظهور الوباء، إنقسم المتظاهرون إلى فريقين. دعا الفريق الأول إلى إستمرار التظاهرات في حين طالب الفريق الثاني بإيقاف التظاهرات جرّاء الوباء وبإعطاء الحكومة الجديدة فرصةً لمعالجة أزمات البلد.

يقول المتظاهر علي عادل: "إنقسمت آراء المتظاهرين حول الإستمرار في التظاهرات من عدمه بسبب وباء كورونا. يدعم الفريق الأول فكرة استمرار التظاهرات لاستكمال الضغط على الحكومة إلى أن تنفّذ المطالب بالكامل. إذ يعتبرون أنّ نهاية كل متورط في الفساد هي مسألة وقت فحسب. أما الفرق الثاني، فيدعو إلى توقيف التظاهرات أثناء هذه الأوقات العصيبة وإعطاء فرصة لحكومة الكاظمي للقيام بعملها وحل مشاكل البلاد الإقتصادية والصحية."

تعالت أصوات عدة تنتقد ضبابية الأهداف وتشرذم الآراء وغياب قيادة موحّدة كان من المفترض أن تحوّل التظاهرات إلى حركة سياسية ميدانية منظّمة.

يقول الناشط في التظاهرات أحمد علي: "ما من قيادة موحدة للتظاهرات. يدير كل فريق عددًا من الخيم في حين أنّ الخيم التي تضطلع بدور سياسيّ تشهد انقاسامات متعدّدة بسبب عدم تطابق الأهداف." ويضيف: "مازال مستقبل التّظاهرات غير معروف. يتعيّن على المتظاهرين وضع رؤية ونهاية للإعتصامات بدلًا من تضييع وقت ومجهود قيّمين يمكن أن يُستخدما في تشكيل معارضة مُنظمة في مجلس النواب المقبل."

التصعيد الأخير

في ١٠ أيار/مايو ٢٠٢٠، أطلقت مجموعة كبيرة من الناشطين السياسيين حملةً عبر وسائل التواصل الإجتماعي بعنوان " الوعد بإعادة إحياء الثورة" لدعوة الناس للتظاهر مجددًا.

أخذت التّظاهرة منعطفًا عنيفًا أدّى إلى إصابة شرطيّ و ٥ أعضاء من شرطة مكافحة الشغب في ساحة التحرير بالإضافة إلى إصابة أكثر من ٢٠ متظاهرًا ومقتل إثنين على يد حراس ميليشيا "ثأر الله" أثناء اشتباكات في مدينة البصرة.

طالب المتظاهرون بمحاكمة عادل عبد المهدي وأعضاء حكومته المسؤولين عن مقتل ٧٠٠ متظاهرٍ منذ شهر تشرين الأول/أكتوبر سنة ٢٠١٩. وطالبوا أيضًا بإقالة المحافظين من مناصبهم.

يقول المتظاهر علاء عادل: "على الرغم من ظهور الوباء، رفضنا العودة إلى منازلنا. لبّينا دعوة تظاهرات العاشر من أيار/مايو للمطالبة بمحاكمة حكومة عادل عبد المهدي المسؤولة عن مقتل نحو ٧٠٠ متظاهرٍ منذ شهر تشرين الأول/أكتوبر سنة ٢٠١٩ ومحاكمة جميع الضالعين بهذه الجريمة بما في ذلك رجال الشرطة والميليشيات، بالإضافة إلى إقالة المحافظين الذين بقيوا في مناصبهم إلى حد اليوم، متخطّين المدة المسموحة قضائيًا. ويضيف: "إذا لم يستجب السّياسيون لمطالبنا، سنسعى إلى الإطاحة بالنظام السياسي في العراق."

مستقبل التظاهرات

يبدو مشهد التظاهرات ضبابيًا مع ظهور وباء كورونا الذي أصبح تحديًا حقيقيًا يمكن أن يمنع المتظاهرين من التجمّع في ساحات الاحتجاج، إلا أنّ بعض قادة التظاهرات يؤمنون أنّ الضّغط على الحكومة هو عملية مستمرة لن تتوقف بل تحتاج إلى بعض التخطيط لزيادة تنظيم التظاهرات عندما تُستأنف في الصيف المقبل.

يقول محمد مثقال: "نسعى إلى جعل مبدأ التغيير السياسي والتظاهرات مستدامًا من خلال تشكيل معارضة سياسية مُنظّمة قادرة على المشاركة في البرلمان المقبل." ويضيف: "على الرغم من جميع جهودنا، لا يمكننا توقّع ماذا سيحصل. تشبه البيئة السياسية العراقية الكثبان الرملية التي تتغير بين الفينة والأخرى والتي لا يمكن التنبّؤ باتجاهها. لكن ما نعلمه أنّنا لم نحقق أهدافنا وأنّنا لن نستطيع العودة إلى الشارع قريبًا."

تحديات كوفيد-١٩ في العراق

قتيبة ياسين

منذ يوم ٢٦ شباط الماضي؛ تاريخ اكتشاف أول إصابة بفيروس كورونا في العراق، والمؤسسات الصحية العراقية تعاني بشكل مستمر من أجل السيطرة على انتشار هذا الفيروس. فالتحديات المختلفة التي فرضها الفيروس على الصعيد الاقتصادي والصحي والاجتماعي قد جعل من عملية السيطرة عليه عسيرة بشكل ما. ويثير الرقم الضئيل لعدد الحالات الإيجابية المكتشفة جملة من التساؤلات حول أسباب قلة الحالات مقارنة بدول الجوار التي يرتادها العراقيون كتركيا وإيران والسعودية.

مؤسسات صحية ضعيفة بسبب الفساد

لقد كان لوزارة الصحة العراقية نصيب كبير من عمليات الفساد التي انتهجتها الأحزاب الحاكمة والتي تعاقبت بسيطرتها على وزارة الصحة، فبالرغم من التخصيصات المالية الكبيرة التي ترصدها الحكومة للوزارة مقارنة مع باقي الوزارات، حيث تقدر المخصصات ٥٪ من الميزانية العامة للدولة (مصدر) إنّ أغلب تلك الأموال تذهب إلى جيوب المافيات الحزبية في الوزارة ولا ينعكس أثرها في تطوير المؤسسات الصحية ورفدها بالأجهزة المتطورة والحديثة. وقد جعلت عمليات النهب هذه، وزارة الصحة ضعيفة على الصعيد اللوجستي، ونظامها الصحي غير مستعد للأزمات الكبرى التي قد تعصف بالبلد. ولقد كان تفشي فيروس كورونا اختبارًا حقيقيًا لقدرة المؤسسات الصحية بالتعامل مع هذه الأزمة.

تفتقد وزارة الصحة العراقية المختبرات التي باستطاعتها إجراء الفحوص بقدرة عالية. حيث ومع بدء تفشي الفيروس، كان مختبر الصحة المركزي في بغداد هو المختبر الوحيد الذي تجرى فيه عملية الفحوص التي ترسل له من كافة محافظات العراق، ولم تكن عمليات الفحص في البداية تتجاوز الـ٥٠٠ عملية يوميًا، حيث ان هذا الامر شكّل ضغطًا كبيرًا ومخاوف من حدوث مشاكل تقنية قد تؤدي إلى توقف أجهزة الفحص تلك. ولقد ساهمت التبرعات الصينية (مصدر) بإنشاء مختبر مركزي آخر في العاصمة وقامت الوزارة كذلك بتأهيل مراكز في النجف والبصرة لترتفع معها القدرة اليومية للفحوصات إلى ما يقارب ٢٠٠٠-٣٠٠٠ فحص يومياً.

وعلى الرغم من ذلك، يبقى هذا الرقم متدنيًا جدًا إذا أردنا مقارنته بعدد الفحوصات اليومية التي تجريها الدول المجاورة للعراق. فالمجموع الكلي للفحوصات التي أجرتها الوزارة منذ تاريخ اكتشاف المرض ولحين كتابة هذا المقال تصل الى ٩٨٠٠٠ فحص تقريبًا (مصدر)، في حين أنّ دولًا مثل إيران قد أجرت أكثر من ٣ مليون فحص خلال نفس الفترة الزمنية.

تجدر الإشارة إلى أن عدد الحالات الموجبة المكتشفة تتناسب طردياً مع عدد الفحوص المجراة، فكلما زادت الفحوص ستزداد معها الإصابات المكتشفة. هذا بالإضافة إلى النقص في عدد أجهزة الإنعاش في المستشفيات والمقدرة بـ١٢٠٠ جهاز (مصدر) بحسب تصريح وزير الصحة العراقي والتي قد تسبب شحتها وازدياد عدد الإصابات إلى أزمة حقيقية خانقة.

قيود اجتماعية ونفسية تمنع المواطنين من الذهاب الى المستشفيات واجراء فحص الاختبار

بالإضافة الى ما ذكرناه مسبقاً من ضعف على الصعيد اللوجستي، تبرز لنا معوقات وقيود اجتماعية تجعل العديد من الناس يتجنبون الذهاب لمراكز الفحص والتأكد من إصابتهم أو عدمها. إن هذه القيود متأصلة ومتجذرة في عقلية العديد من العراقيين الذين يرون المرض وكأنه وصمة عار تصيب المرضى وتؤثر على سمعتهم وسمعة عوائلهم -الإناث على وجه الخصوص- والذي يمنعهم من الذهاب للمستشفى إلى حين تفاقم أعراض المرض، ورفض الكثير منهم إرسال بناتهم وزوجاتهم للفحص بسبب احتمالية الحجر والخوف من التعدّي عليهن. وقد انتشر قبل أيام مقطع فيديو على مواقع التواصل الاجتماعي لشخص يمنع موظفي الصحة من فحص زوجته ويهددهم بالقتل إذا قاموا بلمسها! (مصدر)

ينبع الخوف كذلك من عدم ثقة الناس بالمؤسسات الصحية في التعامل مع المصابين وحالات الوفيات التي قد تحدث. فالعديد من هذه المؤسسات غير مؤهلة لتقديم الرعاية للمرضى ومحاجرها الصحية ليست بالمستوى المطلوب وهناك تخوّف مجتمعي مسبق بأن زيارة هذه المؤسسات تُعرّض الكثيرين للإصابة بالأمراض بدلاً من الشفاء منها. إذ إنّ بعض المصابين قد مروا بتجربة مريرة أثناء العزل الصحي، تتمثل بضعف الرعاية الصحية وقلة الاهتمام بنظافة ردهات المرضى لمنع انتقال العدوى، بالإضافة إلى انقطاع المرضى عن رؤية عوائلهم وخوفهم من الموت بعيدًا عن العائلة وحالة الرهاب المجتمعي التي تعيشها عوائل المرضى. فحالما ينتشر خبر الإصابة حتى ينقطع تعامل الكثير من الناس والباعة مع عائلة المريض خوفًا من انتقال بالعدوى.

كما شكلت عمليات دفن جثث المتوفين التي أجرتها دوائر الصحة بتخصيص مقابر خاصة لدفن جثث المصابين الى امتعاض الاشخاص الموجودين قرب هذه المقابر في مناطق سكنهم وتخوفهم من انتقال الفيروس إليهم (مصدر) على الرغم من التطمينات التي أطلقتها الوزارة بشأن عدم انتقال الفيروس من جثث المتوفين ودفنها في حفر عميقة نسبيًا. يقلق الناس أيضًا من إجراءات الدفن تلك التي يرونها مهينة لجثة المتوفى، خصوصًا وإن هناك طقوس خاصة لدى المسلمين بعملية غسل الجثة وتكفينها قبل دفنها، بالإضافة إلى عزل الجثة في مقابر خاصة وليس بالإمكان دفنها بجوار قبور العائلة والأقارب. فهل بإمكانكم أن تتصوروا شعور الحزن الشديد الذي يرتسم على وجوه عوائل المتوفين وهم ليس بمقدورهم إقامة مراسيم التشييع والدفن بشكل لائق لذويهم، وعدم قدرتهم على إقامة مجالس العزاء واستقبال المعزين، بالإضافة إلى احتمالية حجرهم في المستشفى أو البيت خوفاً من حملهم للمرض؟

عمدت بعض دوائر الصحة مؤخرًا إلى تشكيل فرق طبية جوالة وإجراء فحوصات عشوائية للسكان، وترافق هذه الفرق سيارات إسعاف تطلق صفاراتها ودوريات شرطة مملوءة بعناصر أمن مسلحين. إن هذا التعامل غير الاحترافي قد أدى إلى انتشار حالة رعب وخوف لدى السكان وشعور بالإحراج والاستياء للعوائل التي قد تحتوي على حالات مصابة بالفيروس.

المعتقدات الدينية والثقافية ودورها في تغييب وعي الناس تجاه حقيقة المرض

أسهمت المعتقدات الثقافية والدينية من تأصيل تلك النظرة المرتابة تجاه المرض، فهناك الكثير ممن يرون المرض وكأنه عقابٌ سماويٌ يصيب الناس جراء خطاياهم، وهناك من يخشى أن تكون أصابته حديثًا يتناقل بين الجيران والمقربين. تلك الاعتقادات قد دفعت الكثير من الناس إلى إنكار وجود الفيروس من الأساس وعدم الالتزام بقواعد السلامة كتجنب الاختلاط والابتعاد عن الأماكن المزدحمة.

ولقد مثّلت وفاة الإمام موسى الكاظم (الإمام السابع عند الشيعة) وما يرافقه من طقوس دينية تدعو إلى التجمع

والازدحام تحديًا للمؤسسات الأمنية والصحية بدعوة الناس إلى الرجوع وترك الزيارة حفاظًا على الصحة العامة منعًا لانتشار المرض. فقد خرج العديد من الشيعة وبعملية تحدٍ واضحة لأداء مناسك الزيارة، معتمدين على إيمانهم الديني بقدرة الإمام المعصوم على شفائهم إذا أصيبوا. (مصدر)

تأتي هذه الأحداث وسط فتاوى متضاربة بين المراجع الدينية، فبينما كانت فتاوى المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني (مصدر) ذات طابع متفق مع الإرشادات الصحية والتوصيات العلمية للمختصين، إذ دعا إلى تأجيل صلاة الجمعة وإيقاف الدراسات الدينية والالتزام بمنع التجمعات وتجنبها، إلا أن رجال دين آخرين كان لهم رأي مخالف، إذ حث السيد مقتدى الصدر إتباعه على الاستمرار بالزيارة (مصدر) ومزاولة صلاة الجمعة شرط الالتزام بقواعد السلامة.

عواقب تطبيق قرارات الحظر والتباعد الاجتماعي على الحياة الاقتصادية ومعيشة الناس

ومع تصاعد أعداد الإصابات، اضطرت الحكومة إلى تطبيق قرارات صارمة تتضمن حظر شامل في جميع المحافظات. كان لذلك القرار آثارًا جسيمة، حيث أدى إلى شلل أصاب العديد من النشاطات الاقتصادية والمشاريع الربحية وغير الربحية وتضرر على إثرها الكثير من العمال من ذوي الدخل المحدود والذين يعتمدون على الأجور اليومية في كسب قوتهم وسط غياب حكومي في تقديم حلول من شأنها مساعدتهم، فحتى منحة الطوارئ التي خصصتها وزارة التخطيط للعوائل المتضررة والتي بلغ عدد من قدّموا عليها ١٢ مليون فرد (مصدر) لم ترَ النور إلى حد الآن بسبب الإجراءات البيروقراطية التي أدت لتلكؤ تطبيقها.

كان هناك تباين بالتزام المواطنين بإجراءات الحظر، حيث أن الكثير من سكان الأحياء الشعبية لم يلتزموا بهذه الإجراءات لأسباب عديدة، إذ أن الكثير من شبابها يعتمدون على أعمالهم اليومية كمصدر رزق، وأن جلوسهم في البيت يعني أن يموتوا جوعًا، لذلك يفضّل الكثير منهم المخاطرة بصحته على الالتزام بالحظر المنزلي. أضف إلى ذلك صغر مساحة بيوت تلك الأحياء وكثرة عدد أفراد البيت الواحد (في مدينة الصدر في بغداد، تبلغ مساحة البيت الواحد ١٤٠م مربع، ويحتوي كل بيت على ١٠ أفراد كمعدل) مما يجعل أغلب الذكور معتادين على قضاء أغلب وقتهم خارج المنزل.

ومع انتشار فيروس كورونا وقرار خلية الأزمة بتطبيق الحظر الشامل، اصبحت حالات العنف المنزلي تزداد بوتيرة متسارعة إلى أكثر من ضعف الحالات المسجلة في الأوقات الاعتيادية. إذ لا يمضي أسبوع حتى تنتشر على منصات التواصل الاجتماعي حالتان إلى ثلاث حالات عنف منزلي في مختلف المحافظات، حيث يُرجّح أنّ الأعداد الحقيقية أكثر من ذلك ولكنّ الخوف من التقاليد المجتمعية وإغلاق المحاكم كانا سببين في قلة معرفتنا بها. لقد كان للنساء والأطفال الحصة الأكبر من حالات التعنيف هذه.

ما زال هناك أمل...

ولقد تمثل الجانب الإيجابي لهذه الأزمة بحملات التضامن المجتمعية التي دفعت العديد من الميسورين لتبني وتقديم المعونات وقد كان للمنظمات الغير حكومية والفرق الشبابية التطوعية الدور الريادي في مساعدة هذه العوائل. فبحسب تقرير الأمانة العامة لمجلس الوزراء (مصدر)، شاركت أكثر من (٣٩٠) منظمة في تنفيذ (٨٧٨) حملة في كافة المحافظات، إذ تشير البيانات إن هذه الحملات قد شملت أكثر من ٤٠٠ ألف شخص مستفيد.

لم تقتصر حملات التضامن بتقديم المعونات الغذائية فحسب، بل شملت قيام العديد من أصحاب المولدات

الكهربائية بالتسامح مع مشتركيهم بعدم دفع الأجور الشهرية، كذلك قيام أصحاب العقارات بتخفيف مبالغ الإيجارات على البيوت والمحال التجارية ووسط تأمل المواطنين بانجلاء هذا الفيروس في أقرب وقت. يقول الناشط أمير سلام من محافظة النجف " إن الواجب الإنساني يقتضي علينا التكافل ومساعدة العوائل المتضررة جراء هذه الأزمة وأن نتراحم في ما بيننا لحين التخلص من هذا المرض ورجوع الحياة الى سابق عهدها."

تهديدات أمنية وصحية تعصف بالعراق

منذ بداية الأزمة وقيام الحكومة العراقية بإصدار قرار الحظر الشامل على جميع المواطنين، تم استثناء موظفي وزارة الصحة ومنتسبي الأجهزة الأمنية، نظراً لحاجة الحكومة الشديدة لمنتسبي الصحة في المؤسسات الصحية ومنتسبي الأمن في اجراءات فرض حظر التجول وتم سحبهم من قواعدهم تبعًا لذلك. وفي حين كان لموظفي الصحة حظوة في توفير معدات السلامة لهم، لم تكن هناك إجراءات مماثلة لمنتسبي الأجهزة الأمنية، مما أدى إلى ظهور إصابات حديثة في صفوفهم تصل إلى قرابة ٥٠ إصابة حسب الموقف اليومي لدائرة صحة الكرخ/بغداد، يترافق ذلك مع انسحاب قوات التحالف الدولي ضد داعش من قواعدهم بسبب فيروس كورونا وما تلاه من توقف تدريب القوات الأمنية، حيث كان لذلك الإجراء أثراً واضحًا في جهود القوات الأمنية في محاربة تنظيم داعش، إذ قامت مجاميع مسلحة تابعة للتنظيم مطلع شهر أيار/مايو بتنفيذ عدة هجمات إرهابية استهدفت قوات الحشد الشعبي في محافظة صلاح الدين وتوفى على أثرها ١٠ مقاتلين. لقد استغل تنظيم داعش انسحاب بعض الأجهزة الأمنية العراقية من قواعدها وانشغالها بفيروس كورونا لتطبيق قرارات الحظر الشامل في تنفيذ سلسلة هجماتها. إن هذه الخروقات الأمنية قد تنذر بخطر جديد يهدد أمن البلاد فيما لو لم تتم معالجتها بسرعة.

حكومة جديدة وتحديات كثيرة

لقد عانى العراق في الأشهر الماضية من فراغ سياسي طويل جاء نتيجة استقالة حكومة عادل عبد المهدي وتحولها إلى حكومة تصريف أعمال عاجزة عن اتخاذ قرارات مهمة، انتهى ذلك الفراغ أخيرًا بموافقة البرلمان على تمرير حكومة رئيس الوزراء الجديد مصطفى الكاظمي. إنّ الحكومة الجديدة اليوم تمر بمشاكل عديدة ومعقدة على مختلف الأصعدة منها انهيار أسعار النفط العالمية التي تعتمد عليها الحكومة العراقية بشكل كبير في تدبير شؤون الدولة ودفع رواتب الموظفين وسط أقاويل تنبئ بنية الحكومة استقطاع جزء من رواتب موظفيها كأحد الحلول لتفادي الأزمة الذي ستكون له عواقب وخيمة قد تؤدي إلى انهيار النظام بأكمله، خصوصًا وإننا مقبلون على صيف لاهب قد ينذر برجوع حركة الاحتجاجات أقوى من قبل.

لقد أدى تفشي فيروس كورونا إلى شلل في كافة القطاعات الاقتصادية وتسبب بفقدان العديد من الموظفين غير الحكوميين لوظائفهم. فلم تكن الإجراءات الحكومية المتخذة بالمستوى المأمول ولم تراعِ حجم الأزمة، حيث أعطت الاهمية لتطبيق الحظر الجماعي من دون النظر لحاجة الناس للمواد الغذائية والحاجات الحياتية الأخرى أو توفيرها لهم، مما أدى إلى تفاقم المعاناة لكون أغلبهم لا يملكون أموال تكفيهم لسد احتياجاتهم مما يضعهم على حافة الجوع. إن بقاء الوضع كما هو عليه يشير إلى احتمالية تنامي الطبقة الفقيرة وارتفاع في معدلات البطالة وسط ضعف حاد في النمو الاقتصادي وغياب الحلول الحكومية الناجعة لخروج البلد من الأزمات التي تعصف فيه.

يفرض فيروس كورونا اليوم واقعًا جديدًا يستدعي تضافر الجهود وتذليل العقبات حيث يحمّل جميع الأفراد والمؤسسات على اختلافهم مسؤولية تفادي هذه الأزمة ومعالجتها باقتراح الحلول وتنفيذها للخروج منها من أجل إرجاع الحياة إلى سابق عهدها.

كوفيد- ١٩: أزمة معيشية وحصار للمنافذ على شمال شرق سوريا

كيف يتدبر العمال اليوميين حياتهم في الحجر الصحي؟ وكيف تعاملت السلطات المحلية؟

"ما عنا غير القزمة والكاروك.. شلون بدنا نعيش!"، بهذه الكلمات أطلق الشـــاب "ميار" ابن مدينة الرقة في شمال شرق سوريا، العنان لصوته. وهو في حيرة بين الوقاية بالإلتزام بالحجز الصحي بسبب فيروس كورونا، والقدرة على تأمين سبل العيش."

"ميار" شاب في العقد الثالث من عمره، متزوج ومعيل لعائلته، يعمل في كســـــب قوته اليومي بالعمل في الحفر والتكســير، وأحيانًا يعمل "حمال\ عتال". يروي "ميار" مواجع شقاء العمال اليوميين في حياتهم، متســـائلًا وهو الذي توقف عن العمل منذ بدء الحجر الصحي للوقاية من فيروس كورونا، "كيف سنعيش – نحن العمال اليوميين- في هذه الأزمة وأجواء الحجر"!

يرى العمال اليوميين ومنهم "ميار"، أنهم الشـــريحة الأكثر تضـــررًا فيقول، "أصحاب المال والتجار لن يتأثروا بالأزمة مثلنا".

استقبلت مناطق شمال شرق سوريا\ روج آفا (مناطق خاضعة لســـــيطرة الأكراد في سوريا)، إجراءات جائحة كوفيد- ١٩، كما استقبلها العالم. وعملت "الإدارة الذاتية الديمقراطية في شمال شرق سوريا- كســـــلطة محلية"، باحتواء الجائحة عبر الالتزام بسـبل الوقاية، وقرارات التقيد بالحجر، لكن المنطقة متأثرة بواقع الحرب الســوري منذ نحو ١٠ سنوات، وليس لديها الإمكانيات الكافية والدعم، بسبب قرار سياسي فرض على مجلس الأمن الدولي، أمر بإغلاق "معبر الوليد" المطل على المنطقة من العراق، ما حرم المنطقة من الدعم الدولي، باستثناء عمل بعض المنظمات الدولية والمحلية.

"التاجر عايش بس العامل ميت"

حال الشـــــاب الرقاوي "ميار" كحال مئات الآلاف من الأهالي أبناء المنطقة، الذين التزموا بتطبيق قرار الحظر، بســـبب انتشـــار جائحة كورونا (COVID-19)، وهذا التأثير نابع عن توقف الكثير من الأعمال، في ظل الوقاية بالالتزام بالحجز الصحي، الذي فرض على المنطقة والعالم.

تعمل عدد من المنظمات الدولية والمحلية في شمال شـرق سـوريا، التي تتلقى الدعم من المجتمع الدولي، لكن على تقدير ممثلة من مؤسســة مدنية محلية تهتم بالشـأن النســوي والأسري والأطفال، فإن المنطقة لم تتلقَ الاحتياجات الكافية، نتيجة الحرب والحصـــــــــــار وظروف سياسية، "حاولت الكثير من المنظمات العمل على استقطاب المساعدات، حتى أن بعض المنظمات أصدرت نداءً لإيلاء الاهتمام الدولي بالمنطقة، لكن لم تتبين النتيجة بعد".

ووصفت "حنان حسن" مسؤولة تواصل في منظمة تعمل على قضـايا التنمية والمجتمع المدني، الإجراءات التي اتخذت في شـمال شـرق سـوريا للوقاية من جائحة كورونا بـ "الجيدة"، لكن من وجهة نظرها الإجراءات أثرت بشكل سلبي على الواقع المعيشي لشريحة واسعة من الناس، وخاصة العمال اليوميين، وأصحاب المهن الصغيرة،

"تلك الشريحة ليس لديها مدخرات تكفي أسرهم لأكثر من أيام".

كما تتحدث عن ضعف إمكانيات المؤسسات المدنية المحلية، وتعيد ذلك إلى قلة المساعدات للمنطقة، وضعف ومحدودية إمكانيات المنظمات المحلية.

وقامت منظمات مدنية بحملات توعية وتوزيع سلال نظافة صغيرة، وحملات تعقيم لبعض المرافق العامة وفي المخيمات، لكنها لم تستطع أن تساعد الشريحة المتضررة من الحجر الصحي الذي فرض على المنطقة. الأمر الذي زاد من شكاوى الأهالي من قلة المساعدات. فيقول "ميار"، إن المتأثرين هم أصحاب الدخل المحدود، "التاجر عايش بس العامل ميت".

بالرغم من ضعف الإمكانيات التي تحدثت عنها منظمات المجتمع المدني والسلطات، الأهالي يعتقدون أنّ التزامهم بالحجر، يجب أن يُقابل بتقديم الدعم والمساعدة، فيقول "ميار" إنّ البعض من الأهالي قاموا ببيع فرشهم والأدوات المنزلية كي يستطيعوا تأمين عيشهم، "لن نستطيع الالتزام في المنزل أكثر فإما أن نعيل أطفالنا، أو نموت جوعًا". وفي هذا الصدد، تقول "حنان حسن" إن الأهالي الذين يعتمدون على الدخل اليومي تقيدوا بتعليمات الحجر في البداية، وكانوا يخرجون فقط لشراء الحاجيات الضرورية. لكن بعد تمديد الحجر المنزلي شعر الناس بالحاجة للعمل، فلم يلتزموا واضطروا للخروج والبحث عن سبل العيش.

تأثيرات الحظر على الأهالي..

بالرغم من أنّ خيار الالتزام والوقاية من الحجر هو الأسلم لحياة الأهالي، لكن واقع وظروف الأهالي محدودي الدخل في شمال شرق سوريا، كما في كل العالم، يحتاج لتقديم الدعم والمساعدة.

تنتظر "رحمة" (٢٣ سنة) من مدينة قامشلو\ القامشلي في شمال شرق سوريا، ولادة طفلها الثالث مع اقتراب عيد الفطر لهذا العام ٢٠٢٠، وهي أم لطفلين، "زوجي كان يعتمد على العمل اليومي قبل الحجر الصحي للوقاية من كورونا، لكنه منذ نحو شهرين وهو موجود في المنزل، ولم نعد نملك المال، فتراكمت الديون علينا، يُطلب منا دفع إيجار المنزل، ونحن لا نمتلك المال الكافي لتغطية مصاريف الولادة".

كيف تعاملت الإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا مع فيروس كورونا..

مع بداية انتشار جائحة كورونا عالميًا، قررت الإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا، الالتزام بقرار الحجر والوقاية، فأصدرت بيانًا بتاريخ ٢٣ آذار\ مارس، يتضمن فرض حظر تجوّل في المنطقة لمدة ١٥ يومًا، وتضمن القرار منع التجول بين المناطق، وإغلاق جميع المعابر الحدودية المؤدية إلى مناطق الإدارة، مع إيقاف الأنشطة والتجمعات، ووقف عمل المطاعم والمقاهي وصالات الأفراح، وخيم العزاء والمناسبات الاجتماعية، التي يتم فيها تجمع الأهالي، كما تم منع الحركة في الأسواق، باستثناء شراء الحاجيات من دون حصول تجمعات، كما استثنيت العيادات الطبية والصيدليات، وعمل المنظمات الإنسانية والإغاثية والمشافي، وعمال النظافة والأفران ومحال الأغذية والحليب، وصهاريج نقل المحروقات من الحجر، كي تؤمن مسار الحياة والعيش للأهالي.

وأكدت الإدارة الذاتية على الأهالي ضرورة الالتزام بالقرارات، تحت طائلة المسؤولية. في نفس الوقت، قامت الإدارة الذاتية عبر "هيئة الصحة" في شمال شرق سوريا، بتشكيل "خلية أزمة" لمواجهة " فيروس كورونا "

واحتواء الأزمة. فقامت "خلية الأزمة" بإصدار قرار بإنشاء مراكز صحية خاصة بالحجر الصحي، تحسبًا لوجود إصابات، كما قامت بتجهيز مستشفى "كوفيد- ١٩" بمدينة الحسكة.

وتقول "بيريفان خالد" الرئيسة المشتركة للمجلس التنفيذي للإدارة الذاتية في شمال وشرق سوريا، إن الحجر في مناطق شمال شرق سوريا نتج عنه إيجابيات، منها ضبط الوقاية وعدم انتشار الفيروس، واتخاذ تدابير جدية لمنع تفشي الوباء، "علينا الأخذ بعين الاعتبار أن منطقتنا لم تتلقّ الدعم، وليس فيها تجهيزات كافية، كما لم يصلها مساعدات ودعم مستلزمات طبية".

وتذكر "بيريفان" بعض التحديات التي تساهم في ضعف الإمكانيات في المنطقة، منها أنّ المنطقة تمر بأزمة منذ سنوات، وحرب ضد تنظيم داعش، ما أثر على البنية التحتية والواقع الاقتصادي، عدا عن إغلاق الحدود من قبل دول الجوار".

بعد مضي ١٥ يومًا من قرار الحجر المنزلي الأول، عملت الإدارة الذاتية على التمديد مجددًا لمدة ١٥ يومًا إضافيًا، على أن يستثنى من الحجر، عمل الصيدليات الزراعية والبيطرية والمحال المتخصصة بإصلاح وبيع قطع الغيار للآليات الزراعية، من حصادات وجرارات ومكنات، علاوة على تسهيل حركة المزارعين والعاملين بالزراعة خلال فترة الحجر، شرط الالتزام بالتباعد الاجتماعي، والاستثناءات جاءت مع اقتراب الموسم الزراعي للمزارعين، فالمنطقة تعتمد على الزراعة، وموسمي الحنطة والشعير على الأبواب.

كورونا في سوريا...

مع انتشار فيروس كورونا في العالم، والأرقام والاحصائيات الناتجة عنه، لم تسجل في سوريا الكثير من الحالات، فحتى السادس عشر من آذار\ مارس كانت الحكومة السورية قد أعلنت خلو سوريا من حالات كورونا، لكن بتاريخ ٢٣ آذار أعلنت سوريا عن أول حالة إصابة بفيروس كورونا، بينما في شمال شرق سوريا، لم يسجل فعليًا في المناطق الخاضعة لسيطرة الإدارة الذاتية في شمال وشرق سوريا أي حالة إصابة بفيروس كورونا، بينما سجلت عدة إصابات في محافظة الحسكة، في نقاط محددة تخضع لسيطرة الحكومة السورية، حيث تسيطر الحكومة في مدينتي القامشلي والحسكة على مساحات صغيرة.

وكان ظهور أول حالة مصابة بفيروس كورونا في مدينة الحسكة، لامرأة خمسينية من العمر، بتاريخ ٢٨ نيسان/أبريل ٢٠٢٠، على خلفية الإصابة قررت الإدارة الذاتية تمديد فترة الحظر لمدة ١٠ أيام أخرى، بينما بقيت الاستثناءات على حالها، على أن تبدأ مدة الحظر من الساعة السابعة مساءً وحتى الساعة السادسة من صباح اليوم التالي.

"توقف باب رزقي الوحيد"

تقول الخياطة "أم محمد" من مدينة الرقة "ما تبقى لدينا من مصروف لا يكفي لغير الخبز"، ثم تضيف وهي تشتكي بسبب قلة الموارد بعد شهرين من البقاء في الحجر المنزلي، "زوجي متوفي منذ سنوات، ولدي محل خياطة بالإيجار، وهو باب رزقي الوحيد، وهذا المحل يسد حاجتي وحاجة عائلتي وأولادي في الأيام العادية، لكن توقف العمل، أيضًا لم يعد لدي لوازم خياطة من كلفة وتطريزات وخيطان وغيرها، فالمحال التي تقوم ببيعها مغلقة، الأمر الذي أثر على واقع العائلة الاقتصادي، وأصبحنا لا نأكل غير الخبز".

وتشـــتكي أم محمد كباقي الأهالي من ضعف المســـاعدات المقدمة للعوائل المحتاجة، فتقول "لم نحصـــل على المساعدات من أحد، لذا نتمنى أن نعود لعملنا من جديد".

من جانبه، يعيش "هفال" من مدينة قامشلو\ القامشلي، الخوف من انتشـار الفيروس، وهو ملتزم مع عائلته بالحجر المنزلي، لكن بنفس الوقت يخشـى أن تطول المدة ولا يسـتطيع استمرار الصـرف على عائلته، "لدي أربع أطفال يحتاجون لمصاريف، حرصت بشدة على تجنب جميع التجمعات لأبقي أولادي سالمين، لكن بقائي في المنزل أثقل كاهلي، لأن دخلي الوحيد الذي اعتمد عليه في كســب قوتي اليومي هي سيارة الأجرة التي توقفت عن العمل طيلة هذه الفترة، الأمر الذي دفعني لأتدين المال من أقاربي ومعارفي، ولا أعلم كيف سأقوم بإعادتها من دون عمل".

تتالت فترات التمديد بقرارات من الإدارة الذاتية، مع توسع دائرة الاستثناءات في شهر آيار/مايو لتشـــمل فتح المجال أمام قطاعات الإعمار والإنشـاء، ومحال بيع مواد البناء والمحال الصـناعية، مقابل ذلك بدأ استقبال الناس للدخول إلى المنطقة عبر المعابر الحدودية (المنطقة تطل على إقليم كردســـتان العراق، وأيضًا محافظات مثل حلب، وهي بيد الحكومة الســورية ويفصــلهم معابر برية) لكن على شرط ان يخضـــع القادمين للمنطقة للحجر الصحي لمدة ١٤ يوم في مراكز متخصصة، كما تم إقرار استقبال الجنازات للسكان الأصلين من الخارج، على أن يتم دفنها في مقابر خاصة قرب المعابر للوقاية من تفشـي الفيروس، وأن يتم نقل الرفاة مســتقبلًا للمكان الأساسي للموتى.

في جانب مساعدة الأهالي، أعفت الإدارة الذاتية المشتركين من دفع فواتير الدورة الثالثة للمياه والكهرباء والنظافة لشهري "أيار وحزيران".

كما وعدت حكومة الإدارة الذاتية العوائل الفقيرة والمحتاجة الذين يعتمدون القوت اليومي، بتوزيع موادٍ غذائية في جميع مدن وبلدات المنطقة، جاء هذا الوعد بعد أقل من أسبوع من قرار الحجر الأول، لكن وبحسب آراء الكثير من الأهالي، أن هذا الوعد بقي حبرًا على ورق، ولم يتلقوا أي نوع من المســـاعدة خلال طيلة فترة أيام الحجر، لا من الإدارة الذاتية ولا حتى من المنظمات الإنسانية، وهذا زاد من التأثير على طبيعة حياة الناس بشكلٍ كبير.

لكن "بيريفان خالد" الرئيسـة المشـتركة ردت على ذلك بالقول، بأن صحيح تم التأخير بالتوزيع لكن المسـاعدات لم تتوقف على حد قولها، "قمنا بتوزيع الدفعة الأولى، والثانية للعوائل الفقيرة والمتضـــررة في إقليم الجزيرة، ثم تم التوزيع في الطبقة ومنبج".

وبحسب بيريفان التوزيع سيشمل كل المنطقة، وبالأخص العوائل المتضررة دون أن تحدد من هم!

يقول "زياد" الذي يعمل في تصـليح الالكترونيات بمنبج، إن الواقع الاقتصـادي يلزم الأهالي على التفكير بسـبل العيش، مؤكدًا أنه لم تصلهم مساعدات من قبل الإدارة الذاتية "بسبب الضـغط الاقتصـادي أقوم ببيع الخضـار منذ بدء الحجر الصحي، للصرف على عائلتي".

ويقول "ماهر" الذي يملك محل ألبسة في بلدة عامودا، "الأمور في بداية الحجر كانت بسيطة لكن مع مرور الوقت بدأنا نشـعر بعجز اقتصـادي، فليس لدينا مال احتياطي، كما أن ارتفاع سعر الدولار زاد من صعوبة المعيشـة". ويتفق "محمد" صاحب محل بيع عطورات بعامودا مع "ماهر" ويؤكد على ضرورة تقديم مســـاعدات من قبل السلطات للأهالي لسد الاحتياجات المعيشية.

"مجد" ٢٢ عام من سكان الحسكة، يقول إنه عاش أصعب الظروف خلال فترة الحجر المنزلي، فهو يعيل أسرة من

٥ أشـــــخاص بعد وفاة والده، "واجهت الكثير من التحديات لتأمين لقمة العيش، وصـــــل الحد أن تطلب والدتي المساعدة من الجيران، وأخذ الحاجيات من محال المواد الغذائية وبالدين".

الحلول..

الكثير من أصحاب المهن في مناطق الإدارة الذاتية، اضطروا للعمل في مهن كان مسموح العمل بها فترة الحجر، مثل بيع الخضار والفاكهة، أو العمل في الأفران والمطاعم.

يرى المســـؤولون في الإدارة الذاتية لشـــمال شرق سوريا، أنّ اتخاذ الإجراءات للوقاية من فيروس كورونا كان المطلب الأهم، لدرء خطر تفشـي الفيروس، في حين تعيد الإدارة قلة المســاعدات إلى ضعف الإمكانيات، وترمي الســلة في حضـــن المجتمع الدولي المتهم من الادارة بالتعامل مع المنطقة بقرارات سياسية، فتتهم الإدارة الذاتية المجتمع الدولي بإغلاق المعابر وعدم تقديم المســاعدات، وتقول إن المتضـــرر الأكبر بهذا هو الأهالي، وخاصة أصحاب الدخل اليومي الذين توقفوا عن العمل، واحتاروا كيف يؤمنون قوتهم اليومي.

صحيح أن المنطقة استطاعت أن تكون بمعزل عن انتشـــار فيروس كورونا، لكن كانت تحتاج لحلول سبل عيش الأهالي، والأخذ بعين الاعتبار أن الأهالي بمعظمهم يعتمدون على العمل اليومي.

ومن بين الحلول المقترحة من قبل مختصـين ومتابعين، تحدثوا إلينا، إجراء مســح سريع للوضع المعيشـــي عن طريق المجالس المحلية، ولجان متخصـــصـــة في الإحصـــاء وجمع البيانات، من قبل الإدارة الذاتية والمنظمات المدنية العاملة، ومن ثم تقديم مساعدات غذائية للعوائل المتضررة والمحتاجة، تتضمن اللوازم الأساسية من المواد التموينية والخضار، إضافة إلى توزيع المواد المتعلقة بالأطفال والرضع مثل الحليب والحفاضات وغيرها.

في المقابل يتطلب من الأهالي، الاهتمام بشكل مستمر بالصحة وسبل الوقاية، وإجراء الفحوصات، على أن تقوم الإدارة الذاتية بتقديم خدمات صحية مجانية، مع توفير الأدوية اللازمة للأهالي، الأمر الذي سيخفف العبء عنهم.

بالنسبة للعوائل الفقيرة، فإن أنجح الحلول بالنسبة لهم هو عبر تقديم "مبالغ مالية"، بحسب عدد أفراد العائلة، ليتم تأمين المواد الأساسية لهم.